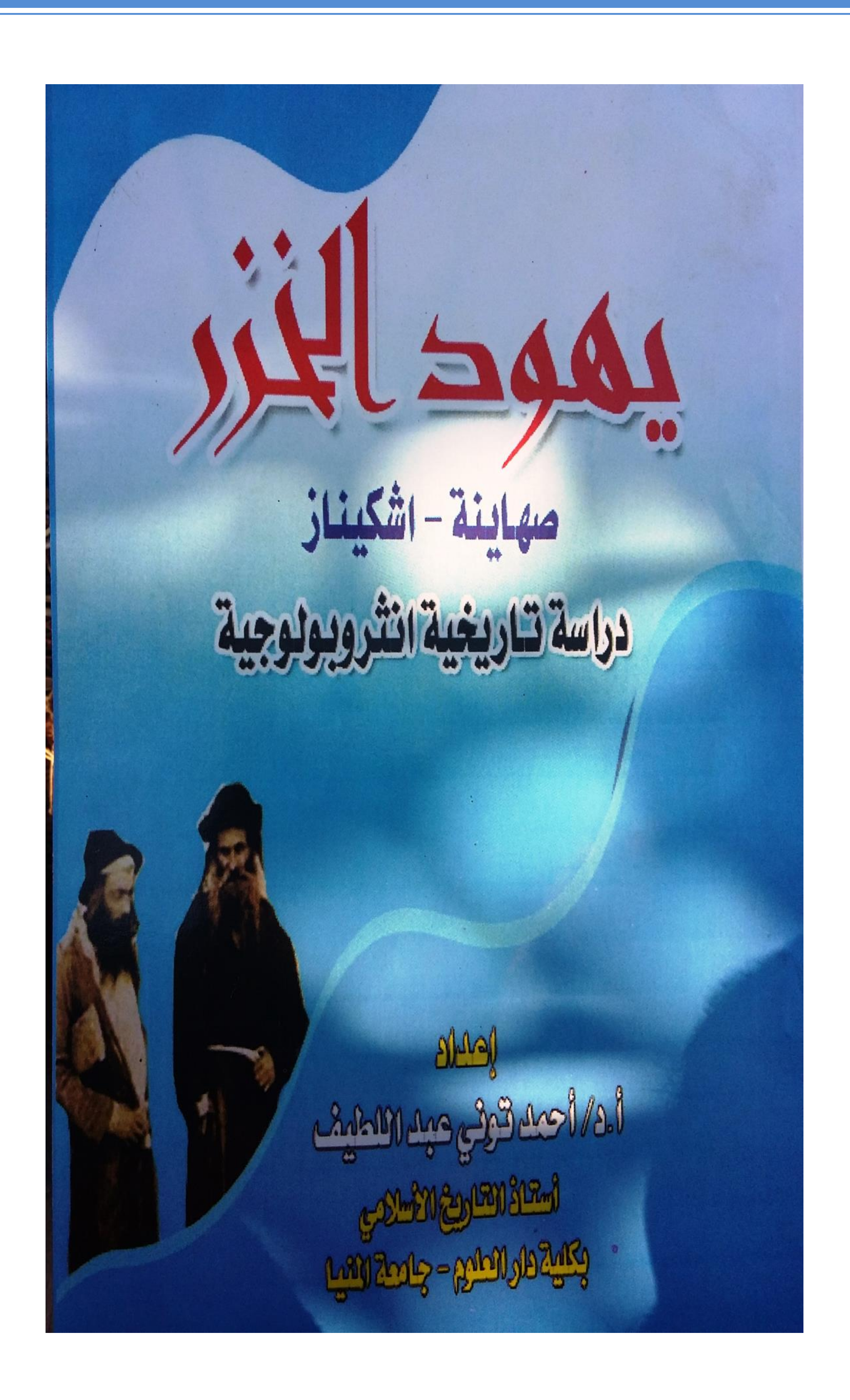

يهود الخزر
صهاينة - اشكيناز
دراسة تاريخية انثروبولوجية
إعداد
أ.د/ أحمد توني عبد اللطيف
أستاذ التاريخ الاسلامي
بكلية دار العلوم - جامعة المنيا

يهود الخزر

(صهاينة – اشكيناز)

دراسة تاريخية انثروبولوجية)

إعداد

أ.د / أحمد تونى عبداللطيف

أستاذ التاريخ الإسلامي

بكلية دار العلوم جامعة المنيا

٢٠١٥ م

مقدمة

ترجع فكرة البحث إلى نقطتين رئيسيتين، تكمن الأولى منهما فى عدة تساؤلات محورية مهمة، تكاد تنطق بها شفاة كل مسلم وعربى، بل كل إنسان باحث عن الحقيقة والعدل، وهى: هل يهود اليوم هم أحفاد يهود الأمس؟ أم أنهم أحفاد يهود الخزر الإشكيناز Ashkenazim؟ وهل جاءوا من أرض كنعان. أم من مدينة "إتيل" وسواحل بحر قزوين؟ وهل يهود اليوم ذوو نقاء جنسى حقًا انطلاقًا من الجيتو Ghetto؟ أم أنهم نتاج الشتات Diaspora، والاختلاط الذى لم يكن وقفًا على أجيالهم المتعاقبة فى العصر الحديث؟ وإنما عايشهم منذ ظهورهم عن طريق الزواج والمصاهرة، مع من جاورهم وعاصرهم من الشعوب الأخرى، كما قالت التوراة. وهل فلسطين تمثل ليهود اليوم غربة أم أرض ميعاد؟ إنها بلا أدنى شك أرض غربة؛ ليس ليهود اليوم فقط بل لأنبيائهم، وحتى سيدنا إبراهيم (عليه السلام) بنص التوراة كان غريبًا على فلسطين.

وسوف تجيب الدراسة على هذه التساؤلات القريبة منها والبعيدة. أما النقطة الثانية فهى ارتباط يهود الخزر بالواقع الإسلامى والعربى، كقاسم مشترك عبر التاريخ، ففى عصر الخلافة الإسلامية (الراشدة، والأموية، والعباسية) وقف الخزر حجر عثرة فى طريق انطلاق المسلمين إلى شرق أوربا؛ لاستكمال الدائرة التى كانت قد بدأت من الغرب فى بلاد الأندلس،

مما يشير إلى وجود ثمة علاقات بين يهود الخزر ويهود الأندلس، وقد اتضح ذلك من خلال رسائل الخزر بين ملكهم يوسف وحسداى بن شبروط.

ولاشك أن الباحث فى تاريخ الخزر يجد نوعًا من الصعوبة، ليس لندرة المصادر فحسب، وإنما لتعدد اللغات التى كتبت بها سواء فى الجانب الفارسى أو الروسى أو البيزنطى، والتى يمكن من خلالها التقاط المعلومات من بين السطور؛ لكن هناك من تجشم عناء الإبحار فى تاريخ الخزر، مثل "دنلوب" فى كتابه "تاريخ يهود الخزر"، الذى اعتمد فيه كثيرًا على الحوليات الروسية والبيزنطية وتاريخ الفرس، أكثر من اعتماده على المصادر الإسلامية، وهناك "كيستلر" فى كتابه "القبيلة الثالثة عشرة"، الذى بذل فيه جهدًا كبيرًا، يبدو من خلال اعتماده على الدراسة الأنثروبولوجية Anthtopology لليهود؛ من حيث مقارنة الأعضاء، وتحليل فصيلة الدم؛ لدحض فكرة نقاء الجنس، وإن كان العنوان يجعل من الخزر أبنًا غير شرعى "ليعقوب" (عليه السلام)، حيث عدهم القبيلة الثالثة عشرة بعد الأسباط الاثنى عشر. وأيضًا الدكتور "جمال حمدان" فى كتابه "اليهود أنثروبولوجيا"، عالج فيه دراسة اليهود من حيث الخصائص الجسدية؛ لمعرفة درجة التقارب أو التباعد وارتباطه بالبيئة والمستوى الاقتصادى، كما قال "ربلى" Ripley، وأيضًا الدكتورة "زبيدة محمد عطا" فى كتابها "اليهود فى العالم العربى"، التى بذلت فيه جهدًا كبيرًا فى جمع الوثائق المتعددة عن تاريخ اليهود، والتى

استفدت منها كثيرًا، وأخيرًا وليس بآخر الدكتور "عبد الوهاب المسيرى" فى موسوعته "اليهود واليهودية والصهيونية".

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة محاور، **الأول:** بعنوان "الواقع السياسى لدولة يهود الخزر"، حاولت الدراسة فيه التعرف على موقع بلاد الخزر، وأهميته من الناحيتين السياسية والاقتصادية، والبلدان التى شملها هذا الموقع، منذ قدومهم من أواسط آسيا فى القرن الأول الميلادى، ومحاولة استقرارهم على مقربة من بحر قزوين، ومدى اتساع هذا الموقع رويدًا .. رويدًا. حتى أصبحت دولة الخزر فى القرن الثانى الميلادى لها وزنها السياسى، وتمتد من بحر قزوين شرقًا إلى الأسود غربًا، ومن آذربيجان وأرمينية وجورجيا جنوبًا إلى روسيا شمالاً، كما أشارت الدراسة إلى تغير عاصمة الخزر حسب مقتضيات الظروف السياسية الخارجية والداخلية، فكانت بلانجر، ثم أصبحت سمندر، وأخيرًا "إتيل"، وفى العصر الحديث "استراخان". كما أشارت الدراسة إلى ظهور الخزر على مسرح التاريخ، من خلال علاقاتهم بالهون والأتراك الغربيين، والعلاقات الدولية بين الفرس واليونان تارة ثم الفرس والرومان، وكذلك الفرس والبيزنطيين. كما أوضحت الدراسة اعتناق الخزر لليهودية كدين رسمى؛ حيث اعتنقها الملك وحاشيته وقواده ووجهاء قومه، وكان الاعتناق سياسيًا لا دينيًا حتى لا ينحازوا إلى الشرق الإسلامي، ولا إلى الغرب البيزنطى المسيحى، بل حالوا أن تكون لهم شخصية سياسية مستقلة، من خلال تسييس الدين.

وأما المحور الثانى: فأوضح الواقع الأجتماعى لدولة يهود الخزر، فألقت الدراسة الضوء على أصل يهود الخزر، وأنهم من أبناء "يافث بن نوح" (عليه السلام)، وليسوا من أبناء سام؛ لخلع عباءة السامية التى يتشح بها اليهود الذين يرجعون فى أصلهم إلى اشكناز الخزر، ولقد عبر "مناحم بيجن" عن مدى ضيقهم من معرفة الحقيقة بعد أن قرأ كتاب "كيستلر" حين قال: "فليقولوا إنا خزر أو أى شئ آخر نحن هنا موجودون بقوتنا"، ثم تعرضت الدراسة لاشتقاقات اسم الخزر، سواء من ناحية الاصطلاح أو اللغة، ومدى التباين الكبير الذى يستفاد منه، أنه تعبير عن التبدى والتنقل والترحال.

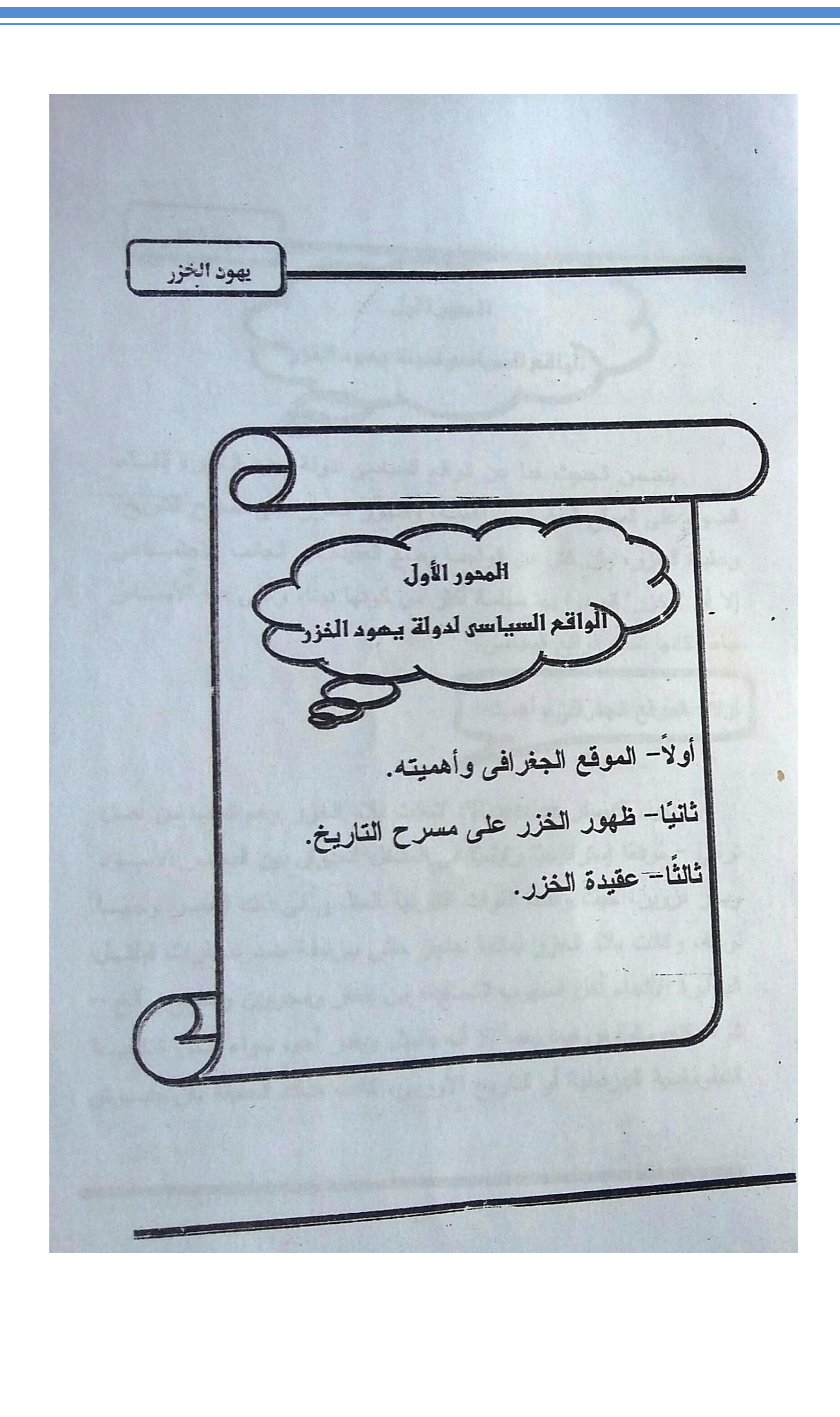
كذلك أوضحت الدراسة الجانب الأنثروبولوجى لليهود منذ بدايتهم، مرورًا بالجيتو، ثم الشتات، حتى يهود الخزر، وأثبتت الدراسة عدم نقاء الجنس اليهودى، من خلال الصفات الجسدية وفصائل الدم، فهو جنس مهجن منذ البداية، كذلك أوضحت الدراسة أن فلسطين كانت ومازالت أرض غربة بالنسبة لليهود منذ عهدهم الأول، وحتى يهود اليوم، كما أشارت الدراسة لرسوم يهود الخزر، من حيث ثنائية حكمهم، وقيادة جيوشهم، ودفن موتاهم وغير ذلك.

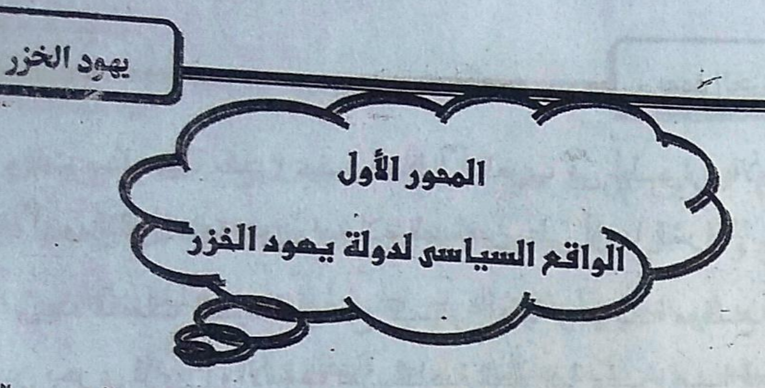
أما المحور الثالث: فأوضح العلاقات المتعددة بين الخلافة الإسلامية ويهود الخزر فى العصر الراشدى، الذى اتسم بالزحف الإسلامى إلى منطقة الدربند والمناطق الحدودية، فهو اتصال سياسى، وفى العصر الأموى، حيث تطورت العلاقات فدخل المسلمون أرض الخزر، واستولوا على بلانجر

أولى عواصمهم، ثم فرضوا الجزية عليهم، فكان الصراع فى أغلبه سياسى. بينما شهدت العلاقات فى العصر العباسى جانبًا اجتماعيًا تمثل فى الزواج، وجانبًا ثقافيًا تمثل فى رحلة سلام الترجمان إلى يأجوج ومأجوج، ثم أشارت الدراسة لانهيار دولة يهود الخزر عام (٣٥٤هـ/٩٦٥م) تمهيدًا لسقوطها على أيدى المغول فى القرن الثالث عشر الميلادى. وأخيرًا... عرضت الدراسة لبعض النتائج.

ولقد اتبعت المنهج التحليلى للنصوص، واستنباط المعلومات من بين السطور، ومقارنتها للوقوف على بواطن الخطأ، واعتمدت هذه الدراسة على العديد من المصادر الإسلامية الأصلية: (كابن رستة، والإصطخرى، وابن فضلان، واليعقوبى، والبلاذرى، وابن خرداذبة، وابن حوقل، والطبرى، وابن الأثير، والمقدسى، والكرديزى). وكذلك: (دنلوب، وكيستلر، ودائرة المعارف اليهودية، وأبا إيبان، والعديد من مواقع المعلومات على شبكة الإنترنت).

وبعد... فهذه محاولة لإضافة كلمة أو سطر فى تاريخ الخزر وعلاقتهم بالمسلمين، فإن وُفقت فمن عند الله، وإن أخفقت فمن نفسى.


المحور الأول
الواقع السياسى لدولة يهود الخزر
أولاً- الموقع الجغرافى وأهميته.
ثانيًا- ظهور الخزر على مسرح التاريخ.
ثالثًا- عقيدة الخزر.



يتضمن الحديث هنا عن الواقع السياسى لدولة يهود الخزر، إلقاء الضوء على الموقع الجغرافى وأهميته، وظهور الخزر على مسرح التاريخ، وعقيدة الخزر، وإن كان من الواجب وضع العقيدة فى الجانب الاجتماعى إلا أن "الخزر" قصدوا بها سياسة أكثر من كونها دينًا، وعلى هذا الأساس جاء مكانها تحت الواقع السياسى.

أولاً- الموقع الجغرافى وأهميته:

يقول "كيستلر Koestler": "شغلت بلاد الخزر وهم شعب من أصل تركى - موقعًا إستراتيجيًا رئيسيًا فى المدخل الحيوى بين البحر الأسود وبحر قزوين، حيث وقفت القوات الشرقية العظمى فى ذلك العصر وجهًا لوجه، وكانت بلاد الخزر بمثابة حاجز حمى بيزنطة ضد غارات قبائل البرابرة الأشداء أهل السهوب الشمالية، من بلغار ومجريين وبتشنج.. الخ - ثم الفيكنج والروس فيما بعد. إلا أنه بالمثل وبقدر أهم، سواء من الناحية الدبلوماسية البيزنطية أو التاريخ الأوربى، كانت هناك الحقيقة بأن جيوش

الخزر وقفت سدًا منيعًا ضد زحف جحافل(*) العرب فى أطـواره الأولـى الساحقة(*)، وبالتالى حالت دون استيلاء المسلمين على أوربا الشرقية".

وبهذه الكلمات البسيطة أوضح "كيستلر" أهمية وحيويـة موقـع بـلاد الخزر بين بحرى قزوين والأسود، فمن الناحية الجغرافية وفـر هـذا الموقـع الحماية للدولة البيزنطية من غارات البرابرة والفيكنج والـروس، كمـا حمـى أوربا الشرقية من الغزوات الإسلامية المتتالية، ومن الناحية الحيويـة وإن لـم يوضحها "كيستلر" فقد كان هذا الموقع بمثابة المعبر بين الشرق والغرب، سواء للجنس البشرى أو المظاهر الاجتماعية أو للتبادل التجارى أو لعبور الثقافات.

ولأن البنية قد تكون فى بعض الأحيان خرساء، ولكنها تنطق مـن خلال الإنسان، وربما تكون الجغرافيا صماء؛ لكن ما أكثر ما كان التـاريخ لسانها، ولقد قيل بحق إن التاريخ ظل الإنسان على الأرض، بمثـل مـا أن الجغرافيا ظل الأرض على الزمان. بينما يضيف قـول آخـر "إن معظـم التاريخ إن لم يكن جغرافية متحركة Moving Geography، فإن بعضـه على الأقل جغرافية متنكرة In Disguise".

انطلاقًا من هذه العبارة التى نطق بها الدكتور "جمال حمدان"، فإننا سنعرض لآراء الجغرافيين المسلمين عن موقع بلاد الخزر وأهميته، بادئين "بابن خردانبة" ت ٣٠٠هـ/٩١٢م تقريبًا، ذلك الجغرافى الكبير إذ يقول تحت

(*) جحافل – الساحقة: تقتضى الأمانة العلمية نقل النص كما هو، وإن كانت روح التعصب واضحة فى الكلمتين المذكورتين.

عنوان "الطريق بين جرجان وخمليج – مدينة الخزر، من جرجان إلى خمليج وهى على شفير النهر الذى يجئ من بلاد الصقالبة، ويصب فى بحر جرجان، فى البحر إذا طابت الريح ثمانية أيام، ومدن الخزر: خمليج وبلنجر والبيضاء. ويؤيد كلامه بيت من الشعر للبحترى، إذ يقول:

شرف تزيّد بالعراق إلى الذى
عهدوه فى خمليج أو ببلنجرا

وهكذا أعمل "ابن خرداذبه" عقله، فاعتمد على ملاحظته الدقيقة لمدى تأثير الرياح على السفن عند تحديد المسافات بين بعض بلدان الخزر، كما اعتمد على الشعر كمصدر من مصادر معلوماته فيما رواه عن البحترى عند ذكره خمليج وبلنجر.

وعلى صعيد آخر نرى "ابن خرداذبه" يورد بعض كور وبلاد الخزر، مثل: الرَّان، وجرذان، والسيسجان؛ لذلك يعد "ابن خرداذبه" من أقدم الجغرافيين المسلمين الذين أشاروا إلى تلك البلاد، وفى هذا السياق لا يفوتنا أن يقول: إن النهر الذى أورده "ابن خرداذبه" هو نهر إتل أو آيدل "الفولجا"، والبحر هو بحر قزوين.

ويأتى "ابن رسته" بعد عام ٢٩٠هـ/٩٠٣م؛ ليلقى قبسًا من الضوء على بلاد الخزر، فيقول: بلاد الخزر بلاد عريضة، يتصل بإحدى جنباتها جبل عظيم، وهو الجبل الذى نزل فى أقصاه طولاس ولوغر، ويمد هذا

الجبل إلى بلاد تفليس. وعلى هذا الأساس تكون بلاد الخزر قد امتدت إلى تفليس ببلاد الكرج سابقًا "جورجيا" حاليًا، والجبل العظيم المقصود هو جبال القوقاز. كما يذكر "ابن رسته" من مدن الخزر سارعشن وهب نلع أو حبنلع.

وتبدو المشاكلة بين ما ذكره "الكرديزى" (٤٤٢-٤٤٣م)، وما ذكره "ابن رسته"، حيث قال "الكرديزى": "وولاية الخزر واسعة الأرجاء على جانبها جبل عظيم، ويمتد من هذا الجبل حتى تفليس".

ويذكر "الكرديزى" فى موضع آخر، أن لهم مدينتان عظيمتان: إحداهما سار عسن، والأخرى اختلع. وبالتالى يتأكد مدى وجه المقاربة بتصحيف طفيف بين ما أورده كل من "رستة والكرديزى".

ويذكر "ابن فضلان" رسول الخليفة "المقتدر بالله العباسى" (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م) إلى بلاد الصقالبة عام (٣٠٩هـ/٩٢١م) نذرًا يسيرًا عن بلاد الخزر، مع أنه كان على مقربة منها، إذ وصل إلى مدينة "إتل" على مصب نهر الفلجا، فيقول: "ولملك الخزر مدينة عظيمة على نهر "إتل"، وهى جانبان فى أحد الجانبين المسلمون، وفى الجانب الآخر الملك وأصحابه". وبذلك تعد معلومات "ابن فضلان" عن الخزر معلومات يسيرة جدًا، مع أنه أسهب من قبل عند ذكره الصقالبة والروس وغيرهم. ولا ندرى ما سبب ذلك، هل هو عدم وصول "ابن فضلان" إلى تلك البلاد، أو أن هناك سببًا آخر. مما حدى "بكر تشوفسكى" أن يتجاهل أية إشارة إلى بلاد الخزر عند حديثه عن "ابن فضلان".

بيد أن "الاصطخرى" يتحدث عن الخزر بشئ من التفصيل، فيقول: "وأما الخزر فإنه اسم الإقليم وقصبته تسمى "إتل"، وإتل اسم النهر الذى يجرى إليه من الروس وبلغار، وإتل قطعتان: قطعة على غربى هذا النهر المسمى "إتل" وهى أكبرهما، وقطعة على شرقيه، والملك يسكن فى الغربى منهما، ويسمى الملك باسم "بك" ويسمى أيضًا "باك"، وهذه القطعة مقدارها فى الطول نحو فرسخ، ويحيط بها سور، إلا أنه مفترش البناء وأبنيته خركاهات لبود، إلا شيئًا يسيرًا بنى من طين ولهم أسواق وحمامات".

وهكذا أورد الإصطخرى بعض التفاصيل عن بلاد الخزر كمدينة "إتل" قصبة بلادهم، ومساحة القسم الغربى منها، الذى قدر بنحو فرسخ والسور الذى كان يحيطها، كما أشار إلى نهر إتل، ولتلك الشعوب المجاورة للخزر، فضلاً عن ذكره أبنيتهم من خيام غطيت بلبود ومبان من طين. مما يوضح أن هناك جزءًا من السكان كان مستقرًا، والآخر كان يتخذ من التنقل والترحال وسيلة للمعيشة. وينقل "ابن حوقل" نص الإصطخرى تقريبًا مخالفًا إياه فقط فى تحديد اسم المدينة الغربية من إتل، وهى "خزران" والشرقية إتل.

ويقول "المسعودى" (ت، ٣٤٦هـ) عند حديثه عن مملكة جيدان: ويبادى أهل الباب والأبواب مملكة يقال لها جيدان، وهذه الأمة داخلة فى جملة ملوك الخزر، وقد كانت دار مملكتها مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يقال لها "سمندر"، وهى اليوم يسكنها خلق من الخزر، وذلك أنها افتتحت فى بدء الزمان افتتحها "مسلمان بن ربيعة الباهلى"، فانتقل الملك

عنها إلى مدينة "آمل"، وبينها وبين الأولى سبعة أيام، و"آمل" التى يسكنها ملك الخزر فى هذا الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعلى بلاد الترك، ويتشعب منه شعبة نحو بلاد البرغز، وتصب فى بحر مايطس وهذه المدينة جانبان، وفى وسط هذا النهر جزيرة فيها دار الملك، وقصر الملك يتوسط هذه الجزيرة وبها جسر إلى أحد الجانبين من سفن، وفى هذه المدينة خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية".

وهكذا ألقى "المسعودى" ضوءًا على تلك البلاد، وعلى قربها من باب الأبواب، وعلى أن الملك كان يقيم بسمندر، ثم انتقل إلى آمل [ولعلها إتل] بعد افتتاحها على يد "سليمان بن ربيعة"، كما يشير "المسعودى" إلى نسيج السكان الذى تكون من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية.

وبنظرة أكثر دقة وتركيز، يقول "المقدسى" عند حديثه عن بلاد "الدَّيلم": "وأما الخزر فإنها كورة واسعة خلف البحيرة قشفه كربه، كثير الأغنام والعسل، واليهود بآخرها سد يأجوج ومأجوج، وعلى تخومها بلدان الروم وبها نهران أكثر مدنهم عليها يقلبان فى البحيرة، وعلى تخومها من قبل جرجان جبل "بِنقشلة" وقصبتها إتل، ومن مدنها بلغار وسمندر وسوار وبغند وقيشوى وخمليج وبلنجر والبيضاء".

وهى نظرة أكثر دقة وشمولاً وتركيزًا، تضمنت مواقع مكانية وملامح عمرانية وبيئية واجتماعية، كما أشار المقدسى إلى بعض

الحيوانات، وكذلك مواد الطعام، فضلاً عن ملاحظته للعقيدة اليهودية. ويقوم "الإصطخرى"[٣١] بمهمة عامل المساجة فيحدد المسافات بين بلدان الخزر وجيرانهم، فيقول: "من آبسكون[٣٢] إلى دهستان[٣٣] ستة مراحل، ويقطع هذا البحر إذا طابت الريح عرضًا من "طبرستان" إلى باب الأبواب فى أسبوع، وأما من آبسكون إلى بلاد الخزر، فإنه زائد على العرض لأنه مزوى، ومن إتل إلى سمندر ثمانية أيام، ومن سمندر إلى باب الأبواب ثلاثة أيام، ومن إتل إلى أول حد برطاس[٣٤] مسيرة عشرين يومًا، ومن أول برطاس إلى آخره نحو خمسة عشر يومًا، ومن برطاس إلى بجناك نحو عشر مراحل، ومن إتل إلى بجناك مسيرة شهر، ومن إتل إلى بلغار عن طريق المفازة نحو شهر، وفى الماء نحو شهرين فى الصعود، وفي الجدود نحو عشرين يومًا، ومن بلغار إلى أول حد الروم نحو عشر مراحل، ومن بلغار إلى كويابه نحو عشرين مرحلة، ومن بجناك إلى بسجرت الداخل عشرة أيام، ومن بسجرت الداخل إلى بلغار خمس وعشرون مرحلة".

وهكذا حدد "الإصطخري" بدقة المسافات بين بلدان الخزر وجيرانهم، كما ذكر بعض الشعوب المجاورة، كالبجناك والروم (البيزنطيون) والبلغار، فضلاً عن ملاحظته الدقيقة لحركة السفن فى بحر قزوين سواء ضد الريح أو معه، وجعل محور كلامه على مدينة إتل مما يؤكد دورها المهم فى كونها قصبة البلاد أو عاصمتها، وذكر إلى جانبها آبسكون وبرطاس وكويابه وسمندر وباب الأوبواب وغيرها.

وعنه نقل "ابن حوقل"[٣٥] مع اختلاف طفيف، حين قال: ومن سمندر إلى باب الأبواب أربعة أيام، بينما ذكرها "الإصطخرى" ثلاثة أيام فى النص السابق، كذلك قال "ابن حوقل بشجرت"[٣٦]. بينما ذكرها الإصطخرى بسجرت، وضبطها ياقوت[٣٧] باشغرد، وكذلك ابن فضلان[٣٨].

ونختم تلك المصادر الإسلامية بقول ياقوت[٣٩] عن بلاد الخزر، إنها بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدربند قريب من سد ذى القرنين. تلك إشارة موجزة عن موقع بلاد الخزر، وأبرز مدنهم وبعض جيرانهم، وشذرات من أخبارهم أمدتنا بها أهم المصادر الإسلامية التى ألقت الضوء على بعض تاريخهم.

✍ لنعرج بعد على بعض المراجع الأجنبية التى ألمحت إليهم:

تذكر "دائرة المعارف اليهودية"، أن "مملكة الخزر تأسست بشكل أساسى فى معظم مناطق جنوب روسيا قبل فترة طويلة من تأسيس المملكة الروسية نفسها، وقد عاش اليهود على شواطئ البحر الأسود وبحر قزوين منذ تلك الفترة، وهذا دليل على أن منطقة بحر "أرال" كانت وطنًا ليهود الخزر"[٤٠]. وهكذا أشارت إلى أن بلاد الخزر تقع فى المنطقة الممتدة بين بحرى قزوين والأسود، إضافة إلى منطقة بحر أرال دلالة على اتساعها.

ويرى "ف. بارتولد W. Barthold" أن بلاد الخزر تشترك فى حدودها الجنوبية الغربية مع داغستان ومع بلاد الخلافة الإسلامية، وهناك كانت تحدث

المصادمات العسكرية، التى ألجأت خواقين الخزر إلى ترك عاصمتهم القديمة بداغستان، وتأسيس عاصمة جديدة على مصب نهر آيتل (الفولجا) [٤١].

وهنا يشير "بارتولد" إلى أن الخزر أسسوا عاصمتهم على مصب نهر الفولجا، أى على ساحل بحر قزوين. وعند حديثه عن "البلغار" يقول بارتولد: لم ينقل أمراء الخزر مقر حكمهم من سهوب القوقاز الشمالية إلى المجرى الأدنى لنهر "إتل"[٤٢]، إلا بعد نضالهم الفاشل مع العرب فى بداية القرن الثالث للهجرة بعد عام (٧٢٠م)، ويشير إلى أن بلادهم كانت جزءًا من مملكة الترك البدوية العظيمة فى السهوب الشرقية لأوربا. بما فى ذلك حوض نهر "إتل". أى أنها كانت عاصمة للخزر قبل إتل فى سهوب القوقاز وهى سمندر كما قال بذلك المسعودى فى مروجه، ومع موجات الفتح العربى تراجع الخزر إلى إتل عند مصب نهر الفلجا فى بحر قزوين، ويربط بارتولد فى كلامه، وهو متخصص فى تاريخ الترك بين الخزر وبين مملكة الترك البدوية فى السهوب الشرقية لأوربا.

ويشير السير "ت. و. آرنولد "Sir T. W. Arnold" إلى وصول يهود الخزر إلى بحر قزوين، ويقرب "أبا إيبان" Abba Eban وزير خارجية إسرائيل الأسبق من وجهة نظره دائرة المعارف اليهودية، فيذكر: أنه فى القرن الخامس الميلادى كانت هناك هجرة للقبائل التركية، وقد استقرت إحداها التى عرفت بالخزر على بحر قزوين. وهنا يشير "أبا إيبان" إلى أصل الخزر التركى، فضلاً عن إشارته لموقع بلادهم على بحر قزوين.

وكان "دانلوب" وجهة نظر أيضًا فى بلاد الخزر وموقعها. إذ يقول: إن أراضى الخزر كانت فى مجرى نهر الفولجا الأدنى، والسفوح الشمالية لجبال القوقاز، وامتدت إلى الأراضى القائمة حول بحر أزوف، وفى القرن التاسع الميلادى امتدت إلى ما وراء غرب مدينة كييف، ووسط نهر "الدينيبر" بل وامتد نفوذهم حتى نهر "جيحون Oxus"، وقد وقعت بلاد الخزر بذلك عبر الخط الطبيعى للتوسع العربى. وهكذا زاد "دانلوب" من رقعة بلاد الخزر حتى امتدت إلى بحر أزوف غربًا على البحر الأسود، وإلى مدينة كييف بروسيا فى الشمال، وإلى وسط نهر الدينيبر فى الشمال الغربى، بل وامتدت إلى بلاد ما وراء النهر Transoxania حتى نهر "جيحون" بولاية أوزبكستان الحالية.

وينقل "محمد عبد الشافى" المغربى عند "دنلوب" وجهة نظره فى موقع بلاد الخزر، ويضيف: أن عاصمة الخزر كانت على مقربة من استراخان الحالية، وقد أطلق عليها من قبل "بلاند شار Bland Shar"، وتمتد من جنوب روسيا حتى غرب أوربا.

ويؤكد "محمود شيت خطاب" استقرار الخزر فى المنطقة التى تقع خلف مدينة باب الأبواب على الساحل الشمالى الغربى من بحر قزوين بالقرب من مصب نهر الفولجا، والتى تعرف ببلاد الخزر وتمتد حتى جبال القوقاز من جهة وإلى إقليم خوارزم من جهة أخرى.

وتبقى الإشارة أن بيوت الخزر قد شيدت على شكل دائرى، وقد غاصت فى الأرض بحكم عامل الزمن، ويقول علماء الآثار السوفيت، أن هذه البيوت كانت منتشرة فى جميع الأقاليم التى عاش فيها الخزر، وأنها تعد مرحلة سابقة لمبانيهم المستطيلة الشكل، ويبدو أن البيوت الدائرية كانت ترمز إلى مرحلة الانتقال من خيام قبابية الشكل، يسهل حملها إلى مساكن دائمة، أى الانتقال من البداوة إلى ما يمكن تسميته شبه استقرار.

ويؤكد "ابن رسته" هذه الرؤية، فيقول: ومدينتهم سارعشن وبها مدينة أخرى يقال لها هب نلغ أو حبنلع، ومقام أهلها فى الشتاء فى هاتين المدينتين، فإذا كان أيام الربيع خرجوا إلى الصحارى، فلم يزالوا بها إلى إقبال الشتاء.

ويقول "كيسلتر": وقد أثبتت الحفائر أن المملكة فى عهدها الأخير كانت محاطة بسلسلة محكمة من الحصون، التى يرجع تاريخها إلى القرن الثامن والقرن التاسع الميلادى، وقد حمت حدودها الشمالية المواجهة للسهوب المفتوحة، حيث شكلت هذه الحصون قوسًا نصف دائرى تقريبًا، يمتد من القرم عبر السهول المنبسطة أدنى نهرى الدونتز والرون إلى نهر الفولجا، على حين حمتها من الجنوب جبال القوقاز ومن الغرب البحر الأسود ومن الشرق بحر الخزر أى قزوين.

وقد بسط الخزر وهم فى مجدهم ونفوذهم على ثلاثين عشيرة وقبيلة تسكن فى الأقليم الواقعة بين القوقاز وبحر أرال، وجبال أورال ومدينة كييف والسهول الأوكرانية؛ مما يدل على اتساع رقعةِ بلاد الخزر جغرافيًا وسياسيًا، وبمتابعة الأطلس فى العصر الحديث، يمكن القول إن بلاد الخزر يحدها شرقًا بحر قزوين وولاية قازخستان، وغربًا أوكرانيا، وجنوبًا آذربيجان وآرمينيا وجورجيا، وشمالاً روسيا، وأهم مدنهم الحالية استراخان.

تلك إشارة سريعة إلى موقع بلاد الخزر وأهميته، وأبرز مدنهم ومناطق نفوذهم؛ لننتقل بعد ذلك إلى إلقاء الضوء على ظهور الخزر على مسرح التاريخ.

ثانيًا- ظهور الخزر على مسرح التاريخ:

ذكر "كيستلر Koestler" أن اسم "الخزر" ظهر لأول مرة كشعب من الشعوب التى قطنت منطقة القوقاز، من خلال حولية سريانية كتبها "زكريا ريتور Rhtor" ترجع إلى منتصف القرن السادس الميلادى، وتشير إلى بعض المصادر التاريخية إلى أنهم ظهروا على مسرح الحياة قبل ذلك بقرن من الزمان، وكانوا على صلة "بالهون"، حيث أرسل الإمبراطور البيزنطى ثيودوسيوس الثانى عام (٤٤٨م) سفارة إلى "اتيلا" ملك الهون، فكان من بين أفرادها "بريسكس Priscus"، ذلك الخطيب الفصيح الذى لم

يكن حريصًا على تدوين المفاوضات الدبلوماسية بين الطرفين فحسب، وإنما – أيضًا – تدوين المؤامرات التى كان بلاط "اتيلا" يحيكها ضد البيزنطيين.

وقد تحدث "بريسكس" هذا عن شعب خضع للهون عرف باسم "أكاتزير"، وهم على الأرجح آك – خزر (آق – خزر) أى الخزر البيض، تميزًا لهم عن الخزر السود كارا خزر (قارا – خزر)، ولم يفت "الإصطخرى" هذا التمييز، حين قال: الخزر لا يشبهون الأتراك وهم سود الشعر، وهم صنفان: صنف يسمون قرا خزر وهم سُمر يضربون لشدة السُمرة إلى السواد كأنهم صنف من الهند، وصنف بيض ظاهر الحسن والجمال. وإن لم يذكر "الإصطخرى" اسم الصنف الثانى، فهو قياسًا على الأول يكون (آن – خزر) الخزر البيض، الذى وصفهم "ابن رسته" بالحسن والجمال، كما قال بذلك "ابن حوقل وياقوت".

ومما يجدر ذكره أن الإمبراطور البيزنطى "ثيودوسيوس الثانى" حاول أن يكسب شعب الخزر المحارب، إلى جانبه ضد سطوة الهون، على رواية "بريسكس"، لكن "كاريداخ" – رئيس الخزر – طلب مزيدًا من المقابل، وانضم إلى جانب "الهون"؛ لتحقيق بعض الأطماع الشخصية، فلما انتصر "اتيلا" على مناوئيه، ومناوئ "كاريداخ" نصب "كاريداخ" حاكمًا "للأكاتزير"، وزيادة فى حسن العلاقات بين الطرفين دعاه "اتيلا" لزيارة بلاطه. وفى اللقاء الذى تم بينهما جرت محاوره، أظهرت خلالها الثانى مدحًا وإطراءً "للإتيلا" وشبهه بالإله، بل قال أنه أعظم الآلهة، فاغتبط عندئذ "إتيلا" بهذا

المدح والإطراء، وثبت "كاريداخ" فى حكمه. هكذا تشير حولية "بريسكس" إلى أن ظهور الخزر على مسرح التاريخ الأوربى يرجع إلى منتصف القرن الخامس الميلادى.

ويذكر "دنلوب" فيما رواه عن "ميخائيل السوري وابن العبرى": أن أخوة ثلاثة فى عهد الإمبراطور البيزنطى "موريس" (٥٨٢-٦٠٢م) قاموا بالزحف من سيز الداخلية Inner Sythia باتجاه الغرب مع جيش قوامه ثلاثون ألف رجل، وعندما وصلوا إلى حدود الإمبراطورية البيزنطية، عبر واحد منهم واسمه "بلغاريوس" ذكره "ابن العبرى" "بلغاريس" – نهر الدون، واستقر داخل الإمبراطورية، أما الآخران فقد احتلا بلاد "اللان" التى تدعى باسم "برساليا Barsalia" وإن هؤلاء مع السكان الأصليين تبنوا اسم الخزر نسبة إلى "كزريخ" أكبر الأخوين سناً، وقد روى ذلك "يحي الأفسوسي John of Ephesus" ت. حوالى (٥٨٦م)، فهو معاصر للحدث، وتشير روايته إلى أن الخزر قدموا بلاد القوقاز من آسيا الوسطى حوالى منتصف القرن السادس الميلادى.

ويشير "بارتولد" إلى الرواية ذاتها، ولكن بتصحيف ملحوظ، فيذكر أنهما أخوان وليسا ثلاثة، وهما "بلغاريوز Bulgharioz وخزريج Khazarig"، هما اللذان نشأ البلغار والخزر من صلبهما. مما يدل على صلة القرابة بين الشعبين البلغارى والخزرى، ولقد اتفق "الإصطخرى" مع "بارتولد" فى هذه الرؤية بيد أنه خالفه فى جزئية، وهى أن بارتولد جمل القرابة تعتمد

على صلة الدم، "فبلغاريوز وخزريج" أخوان، بينما جعل "الإصطخرى" القرابة تقوم على اللغة، حيث قال: "ولسان بلغار مثل لسان الخزر".

ويذكر "دنلوب" أن هجرة لبعض النازحين من آسيا إلى أوربا، شملت قبائل: "تارنياخ Tarniakh، كوتزاغير Kotzagero، وزبندر Zabender"، ولعل وجه الشبه واضحًا بين اسمى زبندر-سمندر، التى كانت مدينة خزرية. وعلى ذلك يكون الخزر قد وصلوا إلى أدرنة الشرقية أثناء حكم الإمبراطور البيزنطى "موريس" بعد احتكاكهم من قبل بالأتراك الغربيين.

ويذكر "كيستلر" أنه بعد انهيار إمبراطورية "الهون" ووفاة "إتيلا" اندفعت جماعات متعددة من الهجرات، كالأجور والآفار فى الوقت الذى كان فيه "الخزر" يغزون جورجيا وأرمينيا، وأصبحوا خلال النصف الثانى من القرن السادس الميلادى السلطة المهيمنة من بين قبائل شمال القوقاز على المنطقة، حتى لم يعد هناك ذكر لقبائل السابير، والساراجور، والسامندر، والبلانجار. إذ أخضعهم الخزر لحكمهم، وبالرغم من مقاومة البلغار العنيفة لنفوذ الخزر، إلا أنهم لاقوا المصير نفسه على إثر هزيمتهم عام (٦٤١م) وانشطروا نصفين "بلغار الدانوب" ، و"بلغار الفولجا".

وتجدر الإشارة إلى أن "الخزر" قد مارسوا الحكم من خلال الأتراك الغربيين سابقًا، تحت قيادة "الخاقان" الذى أصبح لقبه هو نفس لقب ملك الخزر، فيما بعد .. هذا وقد عاشت دولة الأتراك الغربيين حوالى قرنًا من

الزمان من عام (٥٥٠م) حتى (٦٥٠م)، ثم تفككت وانزوت من التاريخ. وبالتالى يكون "الخزر" قد خضعوا لنفوذ "الهون" قبل الأتراك الغربيين، وعندما انتهت دولة الأتراك الغربيين فى منتصف القرن السابع الميلادى حل "الخزر" محلهم فى حكم مملكة الشمال. وإذا كان تاريخ "الخزر" لا يمكن معرفته بمعزل عن التاريخ الفارسى والبيزنطى؛ لما لهم من علاقات مشتركة نحاول أن نظهر جوانبها فى المطلب التالى.

إذ يذكر "اليعقوبى" أن "أردشير بن بابك" أول ملوك الفرس المتمجسة زحف بقواته حتى وصل إلى الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، أى أن الفرس احتكوا ببعض ممتلكات الخزر بأرمينية. ومن خلال الصراع بين الفرس والبيونطيين يحدثنا "الطبرى" عن قيام "لليانوس" الإمبراطور البيزنطى بجمع جموع من الروم الخزر، ومن كان فى ملكه من العرب فى قتال الملك الفارسى "سابور بن أردشير"، وبالطبع "لليانوس" هذا هو "جوليان" ابن عم "قسطنطينوس".

ويؤكد "ستيفن رنسيمان" أن "جوليان" حاول غزو بلاد فارس وأمعن فى زحفه، ولكنه عند عودته لقى حتفه فى صيف عام (٣٦٣م)، أى أن للخزر ذكر منذ منتصف القرن الرابع الميلادى. وقد أكد "اليعقوبى" هذا الصراع فذكر: أن "سابور" غزاه ملك الروم وهو "إليانوس"، فأعانته العرب من جميع القبائل دون أن يشير إلى دور "الخزر" فى هذا الصراع.

وذكر "اليعقوبى" بعض العلاقات العدائية بين الفرس والترك، وربما قصد بالترك "الخزر"، فيذكر أن ملك الفرس "يزدجرد بن سابور" بعد موته خلفه ابنه "بهرام جور بن يزدجرد"، وكان متشاغلاً عن الرعية محبًا للصيد واللهو فطمع فيه الترك، واعتزم "خاقان" السير بجيوشه تجاهه، وعندئذ هب "بهرام" لمواجهة قوات "خاقان" ونجح فى صد هذا الهجوم الذى راح ملك الترك ضحية له. ومع أن "اليعقوبى" لم يصرح باسم "الخزر"، فإن سير الأحداث يوضح أنهم هم المقصودون من كلامه، يقول: أنه بعد وفاة "بهرام جور" ملك الفرس خلفه ولده "يزدجرد"، وكان له ابنان أحدهما "هرمز" والآخر "فيروز"، فملك الأول بعد أبيه، وهرب الثانى إلى بلاد "الهياطلة" بحثًا عن تأييد ملكها بعد أن قص عليه الموقف، فأمده ملك الهياطلة ببعض قواته فعاد "فيروز" مقاتلاً أخاه وجنده حتى تخلص منه وارتقى الحكم بدلاً منه. ولعل "الهياطلة" الوارد ذكرهم كانوا إلى جوار "الخزر" فى منطقة حساسة تُعد فى مفرق بين الشرق والغرب؛ لذا لا نستبعد توجيه أنظار الفرس إليها، كما سيؤيد ذلك ما يأتى من أحداث.

فبعد وصول "فيروز" إلى الحكم، اتجه إلى بلاد الترك فى محاولة لتوسيع نفوذه، وحاول ملك الترك آنذاك منعه من ذلك مذكرًا إياه بالصلح المبرم بينهما من قبل؛ لكنه لم يستجيب لنداء ملك الترك، فاستعد ملك الترك لذلك بخدعة حربية، إذ حفر خندقًا عميقًا وغطاه بطريقة تخفيه عن الأعين، فلما اقتحمه "فيروز" سقط وجنده فيه، وغنم الترك ما معهم وراح فيروز

ومن معه ضحية هذا الصنيع. ويمكن أن ننظر إلى هذه الرواية من وجهة نظر نقدية، إذ ليس من المنطق أن يكون الخندق قد استوعب فيروز وجنده معًا، ولو كان ذلك لحفر ملك الترك خندقًا كبيرًا جدًا حتى يتناسب مع عدد قوات "فيروز"، ولو حدث ذلك فمن المنطق أيضًا أن يكون الفرس على علم به، فيأخذون حذرهم، ولكن المقبول أن يكون فيروز وكوكبة من الجند أو بعض خاصته هم الذين لقوا حتفهم، وبالطبع فقد القائد وخاصته يفت في عضد الجيش، فالهزيمة معنوية أكثر منها حربية.

- ويربط "الكرديزى" (٤٤٢، ٤٤٣م) أول ظهور للخزر بأيام الملك الفارسى "يزدجرد بن بهرام"، حينما قام ببناء حائط بين أرمينية والخزر حتى باب الأبواب؛ لكنه توفى دون استكماله، مما يدل على أن نفوذ الخزر قد ازداد مهددًا الفرس، مما حدا "بيزدجرد" إلى تأمين حدود مملكته.

ويؤكد ذلك "ابن العبرى" حين قال: ولما فرغ الإسكندر من بناء سد "يأجوج ومأجوج" إلى موضع السد الأعظم، وهو المكان الذى يعرف بالباب والأبواب فى مروج بلدان القفجاق، فحفر موضع الأساس ومدة فى الجبال حتى ألحقه بحر الروم، فلم تزل ملوك فارس فى طلب هذا الأساس فتجشموا معرة الترك والخزر من بلاد العراق والجبل وأذربيجان وأران وأرمينية، حتى وجد الأساس "يزدجرد بن بهرام جوربن بهرام بن يزدجرد بن سابور"، فابتدأ ببناء السد من حجارة ونحاس ورصاص ولم يتممه.

ويوضح "ابن العبرى" أهمية هذا العمل، فبعد حديثه عن جهد "يزدجرد" فى البحث عن أساس السد الأعظم المعروف بالباب والأبواب، ويقول: وكان أكثرهم ملوك الفرس بعده فى بنائه، فما تم لهم الفراغ منه حتى سهل الله ذلك على يد "كسرى أنوشروان"، فأحكم بنائه وألصقه برءوس الجبال، ثم مده فى البحر على ميل، ثم غلق عليه أبواب الحديد، وأقام على بنائه سنة وأكثر، فسار يحرصه مائة رجل بعد أن لم تكن تطيقه مائة ألف رجل من الجند، وأذن "بالمرزبان" الذى يقيم هناك بالجلوس على سرير الذهب، ولذلك يسمى ملك تلك الناحية بملك السرير.

وهكذا أوضح "ابن العبرى" أهمية موقع السد فى حماية بلاد فارس من خطورة نفوذ الخزر وغيرهم، ويعدّ السد تعبيرًا عن زيادة نفوذه تجاه "الخزر" أيضًا، وعلى صعيد آخر أوضح بناء سد باب الأبواب سمة من التطور، فلشدة استحكاماته انخفض عدد حراسه من مائة ألف إلى مائة فقط، وهذا تخفيض هائل لعدد الجنود، يمكن استخدامهم فى الأغراض القتالية الأخرى، وفضلاً عن ذلك أصبح هناك حاكم لتلك الناحية أطلق عليه ملك السرير.

ولأهمية منطقة القوقاز على وجه العموم، فإن "كسرى الأول" نصب ملوكًا تابعين له فيها على رواية "كريستنسن"، وبالطبع استفاد "كريستنسن" فى هذه الرواية. مما أورده "البلاذرى" حين قال: وملك "أنوشروان" ملوكًا رتبهم وجعل لكل أمرئ منهم شاهية وناحية، فمنهم "خاقان الجبل" وهو صاحب السرير، ويدعى "وهرارزانشاه"، ومنهم ملك "فيلان شاه"، ومنهم

"طبراسرانشاه"، وملك الكنز ويدعى "جرششان شاه"، وملك ليران ويدعى "ليران شاه"، وملك شروان ويدعى "شروانشاه"، وملك صاحب بخ على بخ، وصاحب زريكران عليها، وأقرّ ملوك جبل القبق على ممالكهم، وصالحهم على الإتاوة، فلم تزل أرمينية فى أيدى الفرس حتى ظهر الإسلام، فرفض كثير من السياسيجين حصونهم، ومدائنهم حتى خربت وغلب الخزر والروم على ما كان فى أيديهم.

وللتعرف على أهمية الخزر عند الفرس، يذكر "كيستلر Koestler" أن الملك الفارسى "كسرى أنوشروان" كان له ثلاثة عروش ذهبية فى بلاطه خصصها لكل من: "إمبراطور بيزنطة، وإمبراطور الصين، وإمبراطور الخزر"، بالرغم من عدم زيارة أى منهم بلاد الفرس، وسواء صحت هذه الرواية أم لا تصح، فإنها تعبر عن تطلع ملك الفرس لاحتواء تلك القوى، ومما يعضد هذه الروية ما دونه الإمبراطور "قسطنطين بورفور جنتوس" عن الخاتم الثلاثى الذهبى الذى خصصه مكتب المحفوظات الإمبراطورية للرسائل الموجهة إلى حاكم الخزر. ويستفاد من ذلك أن دولة "الخزر" أصبحت فى مصاف الدول الكبرى، بدليل مساواة الرواية بين حاكمها وحاكمى بيزنطية والصين فى لفظة إمبراطور.

ولأجل هذا وللخوف من المستقبل لم يتوان الفرس فى مقاومة نفوذ الخزر، فيقول "اليعقوبى": وكانت الخزر المتغلبة على عامة بلاد أرمينية، وعليها ملك يقال له "خاقان"، وله خليفة يقال له "يزيد بلاش" على الران

وجرزان والبسفرجان والسيسجان، وكانت هذه الكورة تسمى أرمينية الرابعة، التى افتتحها "قباذ بن ملك الفرس، فصارت إلى أنوشروان إلى باب اللان مائة فرسخ، وفيها ثلاثمائة وستون مدينة.

ويفصل "الطبرى" الصراع المتكرر بين ملك الفرس وهرقل إمبراطور الروم، وأثر ذلك على الخزر، فيقول: بعد أن سار كسرى جنوب أنطاكية، واستولى على بعض ممتلكات هرقل، اضطر الأخير إلى دفع فدية له، ثم عرج "كسرى أنوشروان" على بلاد الخزر مهددًا إياها؛ لكن "هرقل" لم يقف مكتوف الأيدى، فذكر "كريستنسن" أنه أوقف آخر الأمر الزحف المظفر الذى قامت به جيوش الفرس، فاستعاد آسيا الصغرى، وتقدم طاردًا جيوش كسرى من أرمينية وإذربيجان، واستولى عام (٦٢٣-٦٢٤م) على مدينة "جنزك Ganzak"، حيث ضرب بيت نار "آذركشنسب"، فهرب منه كسرى حاملاً النار المقدسة.

ويبدو أن هذا النصر حفز الخزر، فقاموا فى السنوات التالية بالاستيلاء على دربند وعقدوا حلفًا مع الإمبراطور؛ لكن سير الأحداث يشير إلى أن الخلف كان رغبة من الإمبراطور "هرقل" لما قدمه الخزر من عون صادق له فى حربه ضد الفرس عام (٦٢٧م).

فيذكر "كيستلر Koestler" أن الخزر أمدوا "هرقل" بأربعين ألف فارس بقيادة "زبيل"، الذى تجرأ واغتر بقوته واتجه صوب تفليس ضاربًا

حولها الحصار، وفى العام التالى (٦٢٨م) عاون الخزر "هرقل" واستولوا على تفليس عاصمة جورجيا مقتسمين غنائمها.

وقد صور "ثيوفانس" (٧٥٨-٨١٨م) هذا التحالف بين هرقل والخزر ضد الفرس والآفار، والذى نقل الخزر على أثره خيامهم من سهول نهر "الفولجا" إلى "جورجيا" والتقى بهم هرقل قرب تفليس، وخلع حينذاك الإمبراطور هرقل تاجه ووضعه على رأس الأمير التركى "زبيل"، ثم حياه بعناق حار، معتبرًا إياه أحد أبنائه، وبعد مأدبة أقامها له قدم إليه عددًا من التحف والهدايا والمجوهرات، وأغراه هرقل بالزواج من ابنته الوحيدة "يودوكيا يودوشيا"، وعلى الفور أعان "زبيل" هرقل بأربعين ألف حصان، كما أهدى الإمبراطور ولده ليكون من خاصته مقابل الزواج الذى لم يتم لوفاة "زبيل" فيما بعد. ومن حولية أرمينية يذكر "كيستلر" فى الحملة السابقة ضد فارس أن حاكم الخزر أصدر أمره إلى جميع القبائل والشعوب التى تحت حكمه، وسكان الجبال والسهوب، الذين يعيشون فى بيوت أو فى الهواء الطلق، والذين حلقوا رءوسهم وتركوا شعورهم طويلة، بالاستعداد لخوض الحرب ضد الفرس على جانب الإمبراطور البيزنطى "هرقل" وتلك إشارة واضحة إلى التركيبة العرقية المتغايرة المختلفة العناصر التى تكونت منها دولة الخزر.

وهكذا نلمح ظهور الخزر على مسرح التاريخ، من خلال الصراع المتكرر بين الفرس والبيزنطيين، وقد برزت قوة الخزر من خلال هذا

الصراع فتحالف معهم هرقل؛ مما زاد من نفوذهم، فهاجموا بلاد فارس فى عهد هرمز بين كسرى أنوشروان، حيث قال "اليعقوبى": "وأقبل ملك الخزر فى جموع حتى نزل أذربيجان"، دلالة على علو كعبهم الذى أكده البلخى حين قال: "وملك هرمز بن كسرى أنوشروان، فجار وعسف، فزحف إليه الجيوش من النواحى الأربع: الروم، والترك والخزر، واليمن؛ مما يؤكد زيادة نفوذ الخزر، الذين كانوا على قدر المساواة مع البيزنطيين وغيرهم، من حيث تهديد الفرس، وبالطبع الاتفاق بينهم وبين البيزنطيين فى الهدف ضد فارس، جعل لهم مكانة لدى البيزنطيين، فيذكر "دنلوب" أن الرسائل التى كانت ترسل فى القرن العاشر الميلادى من القسطنطينية إلى خاقان ملك الخزر كانت تُمهر بخاتم ذهب أوسع وأرشق من أختام الرسائل المرسنة إلى بابا روما آنذاك وخلفاء شارلمان.

ويؤكد ذلك "كيستلر" فيقول: "لعبت دولة الخزر وهى فى أوج سلطانها من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادى، دورًا مهمًا فى تشكيل أقدار أوربا فى العصور الوسطى، وبالتالى فى العصور الحديثة، ولابد أن الإمبراطور البيزنطى المؤرخ "قنسطنطين بورفيرو جينيتوس "Constantine Porphyrog Gentius (٩١٣-٩٥٩م)، وكان على بينة من هذا الأمر حين دون فى مؤلفه عن مراسم البلاط، أن الرسائل الموجهة إلى البابا فى روما، ومثلها تلك الموجهة إلى إمبراطور الغرب، كانت تحمل خاتمًا ذهبيًا ملحقًا بها قيمته صولدان، على حين كانت الرسائل الموجهة إلى

إمبراطور الخزر تحمل خاتمًا ذهبيًا قيمته ثلاث صلدات، ولم يكن ذلك بغية التملق، ولكن إقرارًا للسياسة الواقعية Realpolitik". ولا ننسى أن الإمبراطور البيزنطي "ليو الرابع" (٧٧٥-٧٨٠م) المعروف "بالخزرى" وهو ابن أميرة خزرية، تزوجت من الأمير البيزنطي قسطنطين الخامس "كبرينوموس Copronymus (٧٤١-٧٧١م) كان نتاج هذه العلاقة.

وخلاصة القول: فإن السهوب الأوربية الشرقية كانت في القرن السادس الميلادى، بما فى ذلك حوض نهر "اتيل" تابعة للمملكة التركية البدوية، وكان هذا شأن سهوب آسيا الوسطى إلى حدود الصين، وتذهب المصادر العربية وتتفق معها الروسية إلى أن زعيم الخزر كان يحمل اللقب التركى "قاغان" وهو بالعربية "خاقان"، والروايات التى يوردها العرب عن الحفلات التى كانت تقام عند اعتلاء كل خاقان جديد تتفق تمامًا مع كل ما ذكرته الروايات الصينية عن الحكام الترك فى القرن السادس الميلادى.

ويُستشف من ذلك أن مملكة الخزر نشأت مباشرة من الإمارات التركية التى ذكرها الكتاب البيزنطيون، والتى كانت جزءًا من مملكة البدو فى القرن السادس الميلادى.

ومما تجدر الإشارة إليه أن دولة الخزر ذكرت لأول مرة كدولة لها شأنها عام (٦٢٧م) باعتبارها حليفة قوية للإمبراطورية البيزنطية فى حروبها ضد الفرس، ومما يذكر أنه لم تكن بها حاضرة على نهر "إتيل"

وقتذاك، ولم ينقل أمراء الخزر مقر حكمهم من سهوب القوقاز الشمالية إلى المجرى الأدنى لنهر "إتيل" إلا بعد صراعهم ضد العرب فى بداية القرن الثانى للهجرة بعد عام (٧٢٠م).

ويؤكد كل من "ابن خرداذبة، وابن فضلان، والإصطخرى، وابن حوقل، والمقدسى، والكرديزى، وياقوت، وكى لسترنج"، أن الخزر كانوا يسكنون إقليم نهر "إتيل" (الفولجا)، ومن الشعوب التى ذكرت وكانت تقطن الأرض الواقعة بين الخزر والبلغار شعب "البرطاس"، وقد خضعوا للخزر، وتقع أرض الخزر على مسيرة خمسة عشر يومًا من بلاد "البرطاس"، والمسافة بين مساكن هؤلاء ومساكن البلغار يقطعها المسافر فى ثلاثة أيام، أى أن مساكن البرطاس أقرب إلى البلغار، ولخضوعهم للخزر دلالة على زيادة نفوذ الخزر واستيلائهم على أرض البلغار، كما أشرنا لذلك من قبل.

وعلى ضوء ما تقدم، أصبح للخزر واقع سياسى ملموس دلالته حكومة وشعب متعدد الجنسيات، يعيش على رقعة جغرافية امتدت من بحر قزوين شرقًا إلى البحر الأسود غربًا، ومن جورجيا وأذربيجان جنوبًا إلى روسيا شمالاً، وأصبحوا بعد ضعف الفرس إحدى القوى السياسية الثلاث إلى جانب المسلمين والدولة البيزنطية، الذين لهم وزنهم السياسي، ولكى يكتمل هذا الواقع السياسى لابد أن نشير إلى العقيدة التى اعتنقها حكام الخزر وشعبهم.

الخزر إلا الاسم، ومقدار الأمر على "إيشا" إذ كان فى القيادة والجيوش بالموضع الذى لا يبالى معه أحد فوقه، ورئيسهم الأعظم على دين اليهود، وكذلك "إيشا" ومن يميل ميله من القواد والعظماء، والبقية منهم على دين شبيه دين الأتراك.

وبهذه الكلمات أوضح "ابن رسته" اعتناق ملك الخزر ونائبه والقواد، والعظماء أى علية القوم ووجهاؤهم لليهودية، وعلى صعيد آخر أشار "ابن رسته" إلى ثنائية الحكم حين قال: فالأمر كله يقوم به إشا، بينما الملك الأعظم "خزر خاقان" الذى ليس له من طاعة الخزر إلا الاسم؛ لكن الحكم لا يستقيم إلا به. وعن الموضوع نفسه يقول "الإصطخرى" وملكهم يهودى يقال إن له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل، والخزر مسلمون ونصارى ويهود، وفيهم عبدة أوثان، وأقل الفرق اليهود وأكثرهم المسلمون والنصارى، إلا أن الملك وخاصته يهود، والغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان، يسجد بعضهم لبعض عند التعظيم.

وهكذا أشار "الإصطخرى" إلى العقيدة التى وجدت فى بلاد الخزر ممثلة فى: الإسلام، والمسيحية، واليهودية، وكذلك عبادة الأوثان، إلا أن الملك وخاصته اعتنقوا اليهودية. وينقل "ابن حوقل" نص "الإصطخرى" دون زيادة، أما "المقدسى" فيقول: وكان ملكهم يهوديًا له رسوم وحكام مسلمون، ويهود، ونصارى، وعبدة أوثان. وربما قصد المقدسى بالحكام (القضاة). ويشابه "الكرديزى"، "ابن رسته" فى كلامه عن الخزر؛ لكنه يسمى ملكهم

"الشاد" كما أن لهم ملكا عظيما

"بالشاد" فيقول: ولهم ملك عظيم آخر يسمى "الشاد" كما أن لهم ملكا عظيمًا

آخر يسمى "خاقان الخزر"، وليس له إلا الاسم فقط، أما مدار كل شكل

الولاية والحشم فهو على "الشاد"، وليس هناك إنسان أعظم منه مطلقًا،

ورئيسهم الأعظم يهوديًا، وكل من يميل إليه من الكبراء والعظماء كذلك، أما

الباقون فهم على دين يشبه دين الأتراك الغز.

وهنا نلاحظ أن "الكرديزى" قال بثنائية الحكم فى بلاد الخزر، وفى

الوقت نفسه أكد على يهودية الملك ووجهاء القوم؛ بينما باقى الرعية على

دين يشبه دين الأتراك الغز، وقد أكد المقدسى نفس المعنى من قبل.

وعن ثنائية الحكم التى قال بها كل من "ابن رسته" و"الكرديزى"،

يقول أيضًا "اليعقوبى" عند كلامه عن ممالك "الجربى" وكانت الخزر المتغلبة

على عامة أرمينية الرابعة، وعليها ملك يقال له "خاقان" وخليفة يقال له،

يزيد بلاش على الران، وخزران، والبسفرجان، والسيسجان، وكانت هذه

البلاد تسمى أرمينية الرابعة.

بيد أن "المسعودى" تحدث كثيرًا عن مسألة تهود ملك الخزر، فقال

عند حديثه عن مدينة "آمل"، وربما قصد "إتل"، وفى هذه المدينة خلق من

المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية، أما اليهود فالملك وحاشيته والخزر

جنسه، وكان تهود ملك "الخزر" فى خلافة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/

٧٨٦-٨٠٩م)، وقد إنضاف إليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر

أمصار المسلمين ومن بلاد الروم، وذلك أن ملك الروم فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وهو "أرمنوس"، نقل من كان فى ملكه من اليهود إلى دين النصرانية وأكرههم... فتهارب خلق من اليهود من أرض الروم إلى أرضه، وأما ما فى بلادهم من الجاهلية فأجناس منهم الصقالبة والروس، وهم فى أحد جانبى هذه المدينة.

وينقل لنا "دنلوب" و"كيستلر" مناظرة دينية جرت بين ممثلى المسلمين والمسيحيين واليهود بحضور ملك الخزر، يظهر من خلالها أسباب اعتناقه اليهودية، وكان مصدر هذه المناظرة "البكرى الأندلسى" ت. (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، جاء فيها: "إن ملك الخزر كان قد اعتنق المسيحية ثم أدرك بهتانها، فناقش هذه المسألة مع أحد كبار موظفيه، فقال له هذا: أيها الملك إن من لهم كتب مقدسة ينقسمون إلى جماعات ثلاث، فأرسل فى استدعائهم، واطلب إليهم أن يوضحوا قضيتهم، ثم اتبع من يمتلك الحقيقة.

وبناءً على ذلك استدعى ملك الخزر من المسيحيين اسقفًا، وكان مع الملك يهودى بارع فى الجدل أغراه بالدخول فى مناظرة، فسأل الأسقف ماذا تقول فى موسى بن عمران، وفى التوراة التى أوحيت إليه؟ فأجاب الأسقف إن موسى رسول وإن التوراة تنطق بالحقيقة، وعندئذ قال اليهودى: لقد اعترف فعلاً بصدق عقيدتى فلنسأله الآن بماذا يؤمن هو؟ فسأله الملك وأجاب الأسقف: أقول إن عيسى المسيح بن مريم هو الكلمة وأنه أوحى الأسرار باسم الرب، وهنا قال اليهودى للملك: إنه يبشر لمذهب لا أعرفه،

على حين أنه يقرّ أقوالي، ولكن الأسقف لم يكن قويًا في إبراز حجته، ثم أرسل الملك يستدعي مسلمًا فأرسل إليه عالمًا ذكيًا برع في المناقشات، ولكن اليهودي رشا شخصًا ما دس له السم فمات، وهو في طريقه إلى الملك.

وهكذا نجح اليهودي في كسب ملك الخزر إلى عقيدته، فاعتنق اليهودية، وإن كان ميل ملك الخزر واضحًا إلى اليهودية من قبل، بدليل أنه استند في هذه المناظرة إلى يهودي كان بجواره.

وأخيرًا يقول "ياقوت" الذي اعتمد فيما رواه على "ابن فضلان" و"الإصطخري": وملكهم يهودي، ويقال: إن له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل، والخزر مسلمون ونصارى وفيهم عبدة الأوثان، وأقل الفرق هناك اليهود على أن الملك منهم وأكثرهم المسلمون والنصارى، إلا أن الملك وخاصته يهود والغالب على أخلاقهم، أخلاق أهل الأوثان يسجد بعضهم لبعض عند التعظيم. وبهذا نقل "ياقوت" عن "ابن فضلان والإصطخري" اعتناق ملك الخزر لليهودية؛ لكنه أوضح تعصب هذا الملك ضد المسلمين فيذكر أنه لما اتصل بملك "الخزر" سنة (٣١٠هـ) أن المسلمين هدموا الكنيسة التي كانت في دار "البابونج"، أمر بالمنارة فهدمت وقتل المؤذنين، وقال لولا أني أخاف أن لا يبقى في بلاد الإسلام كنيسة إلا هُدمت؛ لهدمت المسجد. والخزر كلهم وملكهم يهود، وكان الصقالبة ومن يجاورهم في طاعته ويخاطبهم بالعبودية، ويدينون له بالطاعة، وقد ذهب بعضهم إلى يأجوج ومأجوج هم الخزر.

وهكذا ألقت المصادر العربية الضوء على اعتناق ملك الخزر وحاشيته اليهودية، كمذهب سياسى لا دينى حتى يتمكن من خلالها رسم سياسة مستقلة لدولته بين الشرق والغرب؛ لكونها تمثل قوة ثالثة آنذاك.

ونحاول الآن أن نعرض لما أوردته المراجع الأجنبية بشأن تهود الخزر وملكهم، فيذكر "كيستلر Koestler" أنه فى عام (١٢٣هـ/٧٤٠م) تقريبًا اعتنق ملك الخزر وحاشيته والطبقة العسكرية الحاكمة "اليهودية" التى أصبحت الدين الرسمى لدولة الخزر، ومما لاشك فيه أن الدهشة قد أصابت معاصريهم بهذا القرار، بالقدر الذى أصاب الباحثين المعاصرين بعد وقوفهم على ما يؤيد ذلك، من خلال المصادر العربية والبيزنطية والروسية والعبرية.

ويعلق المؤرخ "إنتال بارتا" علىٰ اعتناق الخزر لليهودية فى كتابه "المجتمع المجرى فى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين"، وهى تلك الفترة التى مارست فيها دولة الخزر سيادتها على المجريين قائلاً: أصبحت العقيدة اليهودية الديانة الرسمية للطبقة الحاكمة فى المجتمع الخزرى، ومن نافلة القول: إن قبول العقيدة اليهودية ديانة رسمية لشعب غير يهودى عرقيًا يمكن أن يكون عرضة لتأملات مثيرة، وسوف تقتصر الملاحظة على أن هذا التحول الرسمى إلى دين جديد لم تكن له أية سلطة سياسية تناصره، ومن هنا كان الاعتناق مفاجأة لكل المؤرخين المهتمين بشعب الخزر، وبالطبع لا يمكن اعتبار هذا التحول أمرًا عرضيًا، بل يجب أن ينظر إليه على ضوء السياسة المستقلة التى انتهجتها تلك الدولة.

وعلى ذلك يكون التحول إلى اليهودية من جانب ملك الخزر وحاشيته وجنده، تحولاً سياسيًا بالدرجة الأولى، بحثًا عن شخصية مستقلة حتى لا يكونوا تابعين لأى من القوتين الإسلامية أو البيزنطية، فيتأثروا بمراحل القوة والضعف التى تنتابهما.

وليس من شك فى أن الخزر كانوا قبل تحولهم إلى اليهودية يميلون إلى الشامانية، التى لم تستطع أن تضفى على زعمائهم سلطة روحية؛ لما اتسمت به من بربرية وعنف، إذا ما قورنت بالعقيدة الإسلامية فى توحيدها ومنهجها، ومن هنا توجه حكام الخزر إلى اليهودية مدفوعين ببواعث سياسية حتى لا يكونوا تابعين، كما أشرنا للإسلام أو المسيحية بما يؤثر على سيادتهم الاستقلالية.

ويذهب "كيستلر" إلى أبعد من هذا التاريخ المذكور فى اعتناق الخزر اليهودية، فيقول: أنه قبل ذلك بحوالى قرن من الزمان، عن طريق المهاجرين الفارين من الاضطهاد الدينى فى بيزنطة وغيرها من بلدان آسيا الصغرى. ولعل أباطرة بيزنطة كان لهم دورهم الفعال فى هذه الهجرة، فنرى "ليو الثالث" (٧١٧-٧٤٠م) الذى حكم خلال العقدين السابقين مباشرة لتحول الخزر إلى اليهودية عام (٧٤٠م) يصدر أمره بتعميد كل رعايا اليهود، وبالرغم من عدم تنفيذ هذا الأمر إلى حد ما، إلا أنه كان دافعًا لهجرة أعداد كبيرة من اليهود إلى بلاد الخزر، وهذا يؤكد ما أورده "المسعودى" من قبل.

ويضيف "كيستلر" إنّ الإمبراطور الرومانى "بـازل Basil" أجبـر أفراد الطائفة اليهودية فى "أوريا Oria" جنـوب إيطاليـا علـى اعتنـاق المسيحية، وأن أى شخص يرفض ذلك كان يوضع فى معـصرة الزيتـون تحت مكبس خشبى ثم يعصر بنفس الطريقة التى يعصر بها الزيتون.

ننتقل بعد ذلك إلى مصدر مهم من المصادر التى أشارت إلى تحول ملك الخزر إلى اليهودية، وهو المعروف برسائل الخزر.

رسائل الخزر The Khazar Carrespondence:

هذه الرسائل كتبت باللغة العبرية، وتبودلت بـين "يوسـف" ملـك الخزر، و"حسداى بن شبروط" اليهودى أشهر وزراء الخليفة الأموى عبـد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ) بقرطبة، وبالطبع كتبت هذه الرسائل مـن خلال كاتبيهما، وقـد جـرت بعـد عـام (٣٤٣هـ/٩٥٤م)، وقبـل عـام (٣٤٧هـ/٩٦٠م) فى الفترة التى كتب فيها "المسعودى".

ويؤكد "ابن النديم" أن الخزر كانت تستخدم الأحرف العبرية، حيـث قال: فأما الترك والبلغر والبرغز والخزر واللان، وأجناس الصغار الأعين، والمفرطى البياض فلا قلم لهم يعرف سوى البلغر، والتبت فـإنهم يكتبـون بالصينية والمنائية والخزر تكتب بالعبرانية.

نعود إلى "حسداى" ونتساءل من هـو؟ ونجيب: فى قرطبـة عـام (٩١٠م) ولد حسداى بار إسحاق بار عزرا بار شبروط، وما إن شب عـن

الطوق حتى اشتغل بصناعة الطب وذاعت شهرته فى وصفه الأدوية لمرضاه، وما إن زادت شهرته حتى وثق فيه الخليفة وقربه إليه طالبًا منه أن ينظم الشئون المالية للبلاد، وبذلك علا قدره فقام الخليفة "عبد الرحمن" بندبه كوزير للخارجية، وخبير فى حل المنازعات الدبلوماسية بين الخليفة وكل من بيزنطة، والإمبراطور الألمانى "أتو"، وكذلك مع قشتالة ونافار وأراجون وغيرها من الممالك المسيحية باسبانيا.

وقد نجح "حسداى" بالرغم من أعبائه أن يقوم بترجمة بعض الكتب الطبية إلى اللغة العربية، وأن يراسل العلماء من أحبار اليهود فى بغداد. وكان "حسداى" يهوديًا متعصبًا، استخدم اتصالاته الدبلوماسية فى الحصول على معلومات تخص الجماعات اليهودية المشتتة فى أنحاء العالم، وكان غالبًا ما يتدخل لصالحهم كلما أمكن ذلك، وكان "حسداى" مهتمًا على وجه الخصوص بموضوع اضطهاد اليهود فى الإمبراطورية البيزنطية فى عهد رومانوس الأول.

قال عنه "ابن أبى أصيبعة": إنه معتن بصناعة الطب، خدم الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، وكان حسداى بن إسحاق من الأحبار متقدمًا فى علم شريعتهم، وهو أول من فتح لأهل الأندلس منهم باب علمهم من الفقه والتاريخ وغير ذلك. وكانوا من قبل يضطرون فى فقه دينهم وسن تاريخهم ومواقيت أعيادهم إلى يهود بغداد، فيستجلبون من عندهم حساب عدة من السنين يتعرفون به مداخل تاريخهم ومبادئ سنيهم، فلما اتصل حسداى

بالحكم، ونال عنده نهاية الخطوة توصل به إلى استجلاب ما شاء من تآليف اليهود بالمشرق، فعلم حينئذ يهود الأندلس ما كانوا قبل يجهلونه واستغنوا عما كانوا يتجشمون الكلفة فيه، ولقد انتهز حسداى فرصة توليه المفاوضات بين قرطبة وبيزنطة ليتوسط لصالح الشعب اليهودى البيزنطى، وقد علم بوجود مملكة يهودية لأول مرة من بعض تجار القوافل من خراسان وفارس، وشك حسداى فى صحة ذلك، فقام بسؤال أعضاء البعثة الدبلوماسية لبيزنطة التى كانت فى قرطبة، فأكدوا له صحة الخبر، وقدموا له تفصيلاً عن المملكة الخزرية وملكها يوسف، وعندئذ تلقف حسداى الأخبار مقررًا إرسال رسله إلى يوسف ملك الخزر يحملون خطابًا به عدة استفسارات عن دولة الخزر، كشعبها ونظام حكمها وجيشها، وإلى أى قبيلة (سبط) من القبائل الاثنى عشر ينتمى "يوسف".

✍ رسالة حسداى:

بدأ حسداى رسالته ليوسف ملك الخزر بالإشادة بانتصارات يوسف الحربية، ثم ذكر اسمه "حسداى بار إسحاق بار عزرا بار شبروط"، تلى ذلك باسم سكرتيره "مناحم بن شاروك"، وواضح أن حسداى كلفه بكتابة الرسالة إلى "يوسف" فكتب اسمه إلى جوار اسم راعيه حسداى.

استهل حسداى الرسالة بالتحيات والعبارات المبجلة، ثم بدأ يرسم صورة وردية لحالة أسبانيا المسلمة، وما يتمتع به اليهود من رغد العيش فى

ظل حكم "عبد الرحمن الناصر"، وسمى البلد الذى يعيش فيه بالعبرية "سفراد"، بينما أطلق عليه المسلمون الأندلس.

ثم يواصل "حسداى" كلامه ليوضح كيف أنه سمع لأول مرة عن وجود مملكة يهودية من حديثة مع تجار "خراسان"، ثم من المبعوثين البيزنطيين الذين أكدوا له وجود مملكة يهودية اسمها مملكة "الخزر"، وأن المسافة بينها وبين القسطنطينية بطريق البحر خمسة عشر يومًا، ومن البحر المتوسط إلى الأسود، ثم إلى نهر الرون ومنه تنقل المراكب برًا حتى نهر الفُلجا، ثم تنزل به للتستكمل الرحلة إلى العاصمة الخزرية "إتل"؛ لكن الطريق البرى فيحتوى شعوبًا متعددة.

وأما ملك "الخزر" فاسمه "يوسف" وتنقل السفن القادمة من بلادهم السمك والفراء وكافة أنواع السلع، وهم فى تحالف معنا ونحن نجلهم ونبادلهم السفارات والهدايا، وهم أشداء ولهم قلعة لمخافرهم الأمامية، ولجنودهم الذين يخوضون المعارك فى غزواتهم بين وقت وآخر.

وهكذا استفاد "حسداى" معلومات متعددة ومتنوعة عن مملكة "الخزر" من خلال أعضاء البعثة الدبلوماسية البيزنطية، بل أعطوه معلومات عن العلاقات البيزنطية الخزرية والتى تتسم بالإيجابية. ثم يشرح "حسداى" محاولاته الأولى للاتصال بالملك "يوسف" وكيف أنه أرسل فى بادئ الأمر رسولاً يدعى "إسحاق بار ناتان" وزوده بتعليمات للسفر إلى بلاط الخزر؛ لكنه لم يتجاوز

مدينة القسطنطينية، ثم منع من مواصلة سفره حتى لا يتم التقارب بين الخزر وقرطبة، فتقع بيزنطة فى النصف، فعاد الرسول خالى الوفاض.

بيد أن "حسداى" لم يتقاعس فى اغتنام الفرصة، فالتقى بالسفارة التى جاءت من شرق أوربا إلى قرطبة، وكان من بين أفرادها يهوديان، هما: "مار صاعول ومار يوسف"، وتحدث معهما فتطوعا بحمل رسالته إلى الملك "يوسف". وبعد أن شرح "حسداى" للملك "يوسف" كيفية كتابة خطابه، وما بذله من جهد فى محاولة إيصاله إليه، بدأ يوجه عددًا من الأسئلة التى تعكس حرصه الشديد على معرفة كل شئ عن بلاد "الخزر"، من حيث جغرافيتها وطقوسها الخاصة بالاحتفال بيوم السبت.

ثم يقول أحسبدافع يحفزنى على معرفة الحقيقة، من حيث إذا كان هناك مكان على الأرض، يمكن لإسرائيل المنهكة أن تتولى حكم نفسها، ولا تكون خاضعة لأحد، فإذا قدر لى معرفة وجود هذا المكان، لم أتردد فى التخلى عن كل ما أتمتع به من مميزات، تاركًا منصبى وأسرتى مهاجرًا مجتازًا الجبال والوهاد خائضًا البر والبحر حتى أصل إلى الأرض التى يحكمها مولاى الملك اليهودى، ثم يلتمس "حسداى" من "يوسف" معرفة الموعد المحتمل لقدوم المسيح المخلص الذى ننتظره طيلة تجوالنا من بلد لآخر؛ لأن الذل والهوان لحقنا فى شتاتنا، فلزامًا علينا أن ننصت فى صمت لأولئك الذين يقولون لكل شعب أرضه الخاصة وأنتم وحدكم لا تملكون ثمة شبح بلد على هذه الأرض. وبتلك الكلمات يعبر "حسداى" عن مرحلة الشتات التى يعيشها

اليهود ويمنى نفسه وغيره من اليهود بالذهاب إلى مكان يجمعهم، يكون بالنسبة لهم بمثابة الوطن القومى؛ ليسقط ذلك عنصر المكان عن يهود اليوم فلا أحقية لهم فيه، وكان لابد ليوسف وأن يرد على رسالة حسداى.

➢ **رد الملك يوسف:**

بدأ الملك "يوسف" رده بتحيات "حسداى"، ثم قال: إن مملكة "الخزر" دليل واضح على كذب أولئك الذين يزعمون أن صولجان "يهوه" قد سقط إلى الأبد من أيدى اليهود، تلا ذلك ببيان سلسلة نسب أبناء قومه وأصل سلالتهم، ورغم كونه يهوديًا متعصبًا إلا أنه لا يرجع أصله إلى "سام بن نوح" (عليه السلام)، بل يرجعه إلى "يافث" الابن الثالث لنوح، أو بعبارة أكثر دقة إلى حفيده "جرأة" قائلاً: لقد عثرنا فى سجلات الأسرة التى تركها آباؤنا أنه كان "لتاجورما" عشرة أبناء أسماء ذريتهم هى: أجور، ودورسو، وآفار، وهون، وبازل، وتاريناخ، وخزر، وزاجور، وبلغار، وسابير، وإننا نحن أبناء "خزر" أى الذرية السابعة. بعد ذلك تحدث "يوسف" عن مجد أسلافه الحربية، الذين وصلوا بقواتهم إلى نهر الطوانة، ثم بعد ذلك يروى قصة اعتناق الملك "بولان" اليهودية، فيما يعرف بأسطورة بولان.

➢ **أسطورة بولان:**

يذكر "يوسف" أن الملك "بولان" كان على استعداد لخدمة المولى، وقد قال: أنت تعرف يامولاى نوايا قلبى الكامنة، ولقد فحصت أنت كُليتى

لتؤكد أن تقتى مودعة فيك، ولكن أفراد الشعب الذين أحكمهم لهم آراء وثنية ولا أعرف ما إذا كانوا سيصدقوننى؟ فإن كنت قد حظيت بعطفكم ورحمتكم فإنى أتوسل إليكم أن تظهروا أيضًا لأميرهم الكبير كى تحثوه على تأييدى، وقد استجاب الخالد الأحد لطلب "بولان" وظهر لهذا الأمير فى الحلم، فلما استيقظ الأمير فى الصباح، جاء إلى الملك وأخبره بما حدث. ويلاحظ أن سفر التكوين، وأغلب الروايات العربية التى أوضحت تهود الخزر، لم يرد فيها إطلاقًا ما يؤكد فكرة وجود أمير يتعين عليهم الحصول على موافقته؛ لكنها بالطبع إشارة واضحة إلى ثنائية الحكم عند "الخزر"، فالأمير الكبير واضح أنه البك، وأما الملك فهو الخاقان.

وتواصل رسالة "يوسف"[٩] الحديث فتذكر كيف ظهر الملاك مرة أخرى للملك الحالم، وأمره أن يشيدّ مكانًا للعبادة يمكن للرب أن يقيم فيه؛ لأن السماء والسماوات التى تعلوها ليست متسعة إلى حد كاف لتحتوينى، ويجيب الملك "بولان" فى حياء أنه لا يملك الذهب والفضة اللازمين لمشروع كهذا. فيعيد الملاك طمأنته قائلاً: إن كل ما عليك أن تقوم بقيادة جيوشك إلى "داربيلا- وأردبيل" فى أرمينيا، وسوف تجد فى انتظارك هناك كنزًا من الفضة وآخر من الذهب، وتتفق هذه الرواية مع غارة "بولان" أو "بولخان" على مناجم الفضة والذهب فى القوقاز. وينفذ "بولان" أمر الملاك، ويعود منتصرًا ومعه الغنائم، فبنى هيكلاً متنقلاً "خيمة"، وجهز بصندوق

مقدس (تابوت العهد)، وشمعدان، ومذبح، وأدوات مقدسة حفظت إلى اليوم ولا تزال فى عهدتى أى عهدة "يوسف".

وهكذا قص علينا الملك "يوسف" انتماءه إلى حفيد "يافث بن نوح" (عليه السلام)، وعدد مجد أسلافه، ثم عرج بنا ليروى أسطورة "بولان" وكل مؤداها تهيئة فكر الخزر لتقبلهم لليهودية، فيذكر أن الارتداد عن الوثنية لصالح الإله الحق، وعقب غزو بولان لأرمينيا ذاعت شهرته حتى بلغت مملكة "أيدوم" (بيزنطة)، وملك بنى إسماعيل المسلم يقصد الخليفة، فأرسل إليه مبعوثين فوق العادة محملين بالهدايا إلى جانب العلماء ليهدوه إلى عقائدهما؛ لكن الملك كان حكيمًا، حيث أرسل فى طلب يهودى واسع العلم كثير الفطنة، وجمع الثلاثة معًا لمناقشة تعاليمهم.

وبالرغم من أن "البكرى" لم يذكر وجود المسلم، كما أسلفنا بل راح ضحية مؤامرة اليهودى، إلا أن "يوسف" أكد حوار "بولان" معهم، وقد سأل المسيحى أى الديانتين الأخريين أقرب إلى الحقيقة، فأجاب ديانة اليهود، ثم واجه المسلم بنفس السؤال، وحصل على نفس الإجابة.

وهكذا فاز الحياد لا إلى هذا ولا إلى ذاك، وتلك خدعة يهودية صورها "يوسف" منسوبة إلى "بولان" لاعتناق اليهودية. ويعدد "يوسف" مراحل تهويد "بولان" ملك الخزر، فيذكر أنه بدأ يطرد السحرة وعبدة الأوثان، قبل ظهور الملاك، ثم أبرم عهده مع الإله الذى أتاه فى الصباح قبل

أن يقرر إن كان هو إله اليهود أم المسيحيين أو المسلمين، ثم كان الاعتناق الذى يعد مرحلة وسط، كان اعتناقًا بدائيًا قام على الكتاب المقدس وحده Bible دون إدخال التلمود، والفترة من بولان إلى "عبادية" (٧٤٠-٨٠٠م) ساد البلاد فيها نوع من مذهب القرائين Karaism.

إذن كان تهود الخزر عملية تدريجية أحدثتها ذريعة سياسية، ثم تغلغلت على مهل إلى الطبقات الأعمق فى أذهانهم، وأنتجت فى آخر الأمر المسيحانية (عقيدة المسيح المخلص). وبعد الاصلاحات التى قام بها "عبادية" وأوضحها "يوسف" فى رده يسطر قائمة بخلفائه، وهم: هسكيا ابنه، ثم إسحاق ابنه، ثم منسة بن عبادية، ثم شانوكا شقيق عبادية، ثم إسحاق ابنه، ثم منسة ابنه، ثم وثيس ابنه، ثم مناحم ابنه، ثم بنيامين ابنه، ثم آرون ابنه، وأخيرًا يوسف بن آرون المبارك. وكلنا أبناء ملوك، ولم يسمح لغريب أن يتولى عرش آبائنا.

وهكذا رد "يوسف" على "حسداى"، وأوضح مراحل تهود الخزر، وسلسلة الملوك من "بولان" حتى هو، وبالطبع يظهر التعصب واضحًا فى رد يوسف الذى اعتبر حسداى والده، وليس هناك شك فى أن اعتناق "الخزر" لليهودية كان اعتناقًا سياسيًا أكثر منه دينيًا، كما أشرنا فى صدر كلامنا.

✍ **مصادر أخرى عن تهود الخزر:**

إضافة إلى الرسائل المتبادلة بين "حسداى بن شبروط ويوسف بن آرون" هناك "جنيزة القاهرة" Cairo Geniza التى اكتشفها "سولومون شبختر Solomon Schechter" فى مخزن معبد يهودى بالقاهرة، وتحوى خطابًا من مائة سطر، ضاع أوله وآخره، فلم يعرف لمن أرسل ولا من كتبه، بالإضافة إلى وثائق أخرى، وبالنسبة للخطاب الذى يعرف بوثيقة "كمبردج" ورد فيه اسم الملك "يوسف"، ولفظ مولاى، وجاء ذكر بلاد "الخزر" بوصفها بلدنا.

ويستشف من هذا الخطاب كتبه أحد كتاب "الخزر" من بلاط "يوسف" وأرسل إلى "حسداى بن شبروط" عن طريق بيزنطة، فتسلمه مندوب "حسداى إسحاق بار ناتان" فى القسطنطينية، ثم أوصله لقرطبة، وتم نقله إلى القاهرة مع هروب اليهود من أسبانيا، وفيه إشارات عن تهود الخزر من خلال قصة أسطورية.

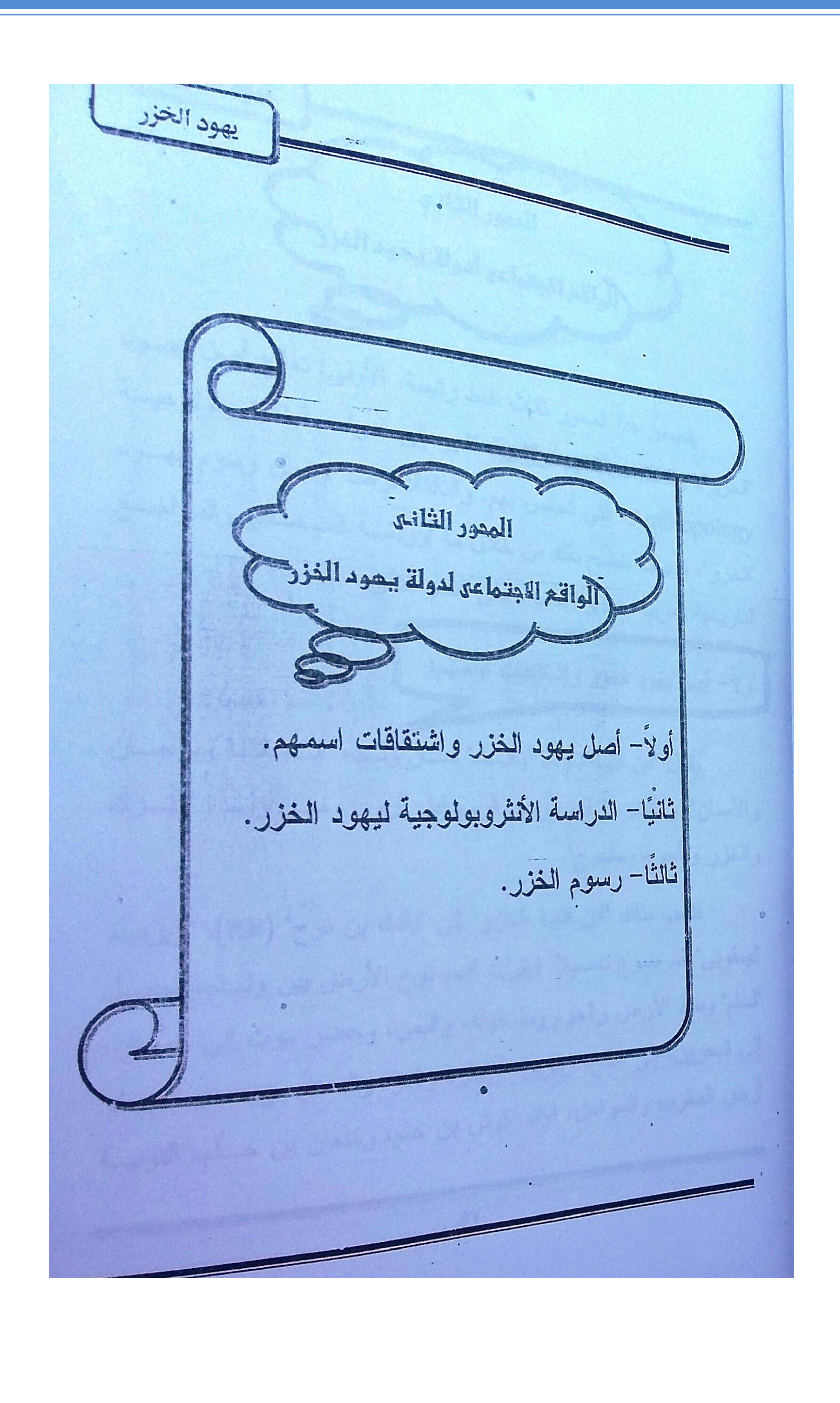
كذلك ما كتبه "جودا هاليفى Jehuda Halevi" (١٠٨٥-١١٤١م) بوصفه أعظم شاعر عبرى أنتجته أسبانيا فى مؤلفه "الخزر"، بالإضافة إلى الرحالة اليهودى الألمانى "بتاليا Petachia"، الذى زار شرق أوربا وغرب آسيا، عامى (١١٧٠-١١٨٥م).

وصفوة القول: فإن الدراسة قد كشفت عن الواقع السياسى لدولة "يهود الخزر"، من حيث الموقع الجغرافى، إذ هاجروا من أواسط آسيا فى القرن الأول الميلادى، واستقروا على مقربة من "بحر قزوين"، وشيئًا فشيئًا ازدادت رقعة بلادهم، حتى أصبحت فى القرن الثامن الميلادى تمتد من بحر قزوين شرقًا إلى البحر الأسود غربًا، ومن أذربيجان وجورجيا وأرمينية جنوبًا إلى روسيا شمالاً.

كما أوضحت الدراسة تغير موقع العاصمة حسب الظروف السياسية، فكانت "بلانجر" ثم أصبحت "سمندر"، وأخيرًا "إتيل".

كذلك أشارت الدراسة إلى ظهور "الخزر" على مسرح التاريخ من خلال علاقتهم بالهون والأتراك الغربيين، ومن خلال الصراع بين الشرق والغرب، الذى تمثل فى الفرس واليونان، ثم الرومان، ثم البيزنطيين.

كذلك أوضحت الدراسة اعتناق "الخزر اليهودية" كدين رسمى، بالرغم من وجود الإسلام والمسيحية؛ لكن الملك وخاصته ورجال دولته قصدوا بهذا الاعتناق اعتناقًا سياسيًا أكثر منه دينيًا، حتى لا يكونوا تابعين للشرق الإسلامى أو الغرب المسيحى، بحثًا عن هوية خاصة بهم. وبالطبع تحفزنا هذه الدراسة للتعرف على الواقع الاجتماعى ليهود الخزر.



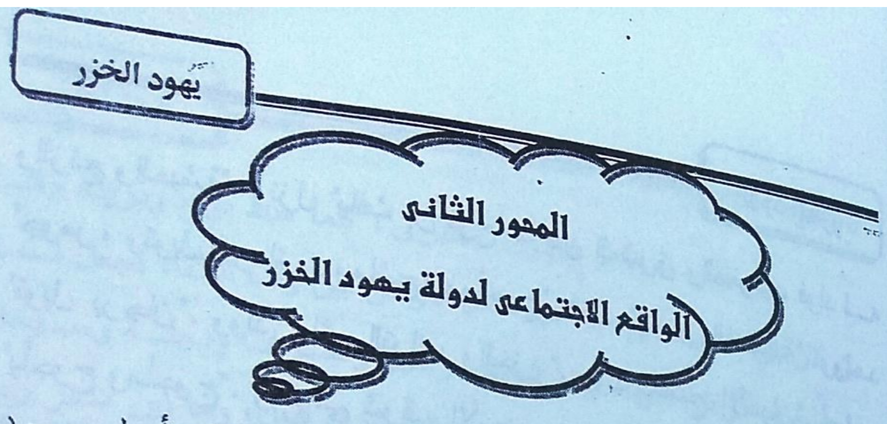
المحور الثانى

الواقع الاجتماعى لدولة يهود الخزر

أولاً- أصل يهود الخزر واشتقاقات اسمهم.

ثانيًا- الدراسة الأنثروبولوجية ليهود الخزر.

ثالثًا- رسوم الخزر.



يتضمن هذا المحور ثلاث نقاط رئيسة، الأولى: تعالج أصل يهود "الخزر"، واشتقاقات اسمهم. والثانية: تشير إلى الدراسة الأنثروبولوجية Anthropology، التى تختص بهم. والثالثة: ترصد وتحلل رسوم يهود "الخزر"، وسوف يتضح ذلك من خلال ما أوردته المصادر والمراجع التاريخية العربية منها والأجنبية، على النحو التالى:

أولاً- أصل يهود الخزر واشتقاقات اسمهم:

يقول "ابن قتيبة": وأما "يافث" فمن ولده "الصقالبة وبرجان والأسبان"، وكانت منازلهم بأرض الروم قبل الروم، ومن ولده "الترك والخزر ويأجوج ومأجوج".

فنسب بذلك "ابن قتيبة الخزر" إلى "يافث بن نوح" (عليه السلام)، "ويزيد اليعقوبى" الموضوع تفصيلاً، فيقول: "قسم نوح الأرض بين ولده، فجعل "لسام" وسط الأرض والحرم وما حوله، واليمن، وحضر موت إلى عمان، إلى البحرين، إلى عالج، ويبرين، ووبار، والدوّ، والدهناء. وجعل "لحام" أرض المغرب والسواحل، فولد "كوش بن حام، وكنعان بن حام، النوبة

والزنج والحبشة". ونزل "يافث بن نوح" ما بين المشرق والمغرب، فولد له "جومر، وتوبل، وماش، وماشج، ومأجوج". فولد "جومر الصقالبة". وولد "توبل برجان". وولد "ماش الترك، والخزر". وولد "ماشج الأسبان". وولد "يأجوج ومأجوج". وهم في شرقى الأرض من جهة الترك، وكانت منازل الصقالبة وبرجان أرض الروم قبل أن يكون الروم، فهؤلاء ولد "يافث".

وهكذا أكدّ "اليعقوبى" رأى "ابن قتيبة" فى نسب الترك والخزر "ليافث بن نوح"، أو بتعبير أدق إلى "ماش بن يافث"، كما أشار إلى إعمار الأرض بأبناء نوح. ثم لم يكتف "اليعقوبى" بما أشرنا، وإنما يشير إلى ألسن ولد نوح، فيقول: "كان فى ولد سام تسعة عشر لسانًا، وفى ولد حام ستة عشر لسانًا، فلما رأوا ما هم فيه اجتمعوا إلى "فالخ بن عابر" فقال لهم: إنه لا يسعكم أرض واحدة مع افتراق ألسنتكم، فقالوا: اقسموا الأرض بيننا، فقسم لهم فصار لولد "يافث بن نوح" الصين والهند والسند والترك والخزر والتبت والبلغر والدليم، وما والى أرض خراسان، وكان ملك بنى يافث فى ذلك الزمان "جم شاد" وصار لولد حام أرض المغرب وما وراء الفرات إلى مسقط الشمس، وصار لولد "سام" الحجاز واليمن وباقى الأرض".

وهكذا أشار "اليعقوبى" لتعدد ألسن أتباع أولاد نوح (عليه السلام)، كما أشار إلى اسم ملك بنى يافث آنذاك، ومن المرجح أنه ملك الخزر؛ لأن الكرديزى ذكره تقريبًا حين قال عن الخزر: "ولهم ملك عظيم يسمى الشاد".

وفى نفس الموضوع يقول "الطبرى": "فلما هبط نوح وذريته وكل من كان فى السفينة إلى الأرض، قسم الأرض بين ولده أثلاثًا، فجعل لسام وسطًا من الأرض ففيها: بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحان وجيحان وفيشون، وذلك ما بين فيشون إلى شرق النيل، وما بين منخر ريح الجنوب إلى منخر الشمال، وجعل لحام قسمه غرب النيل، فما وراءه إلى منخر ريح الصبا". أى قسم من أرض يافث فى ريح الصبا (ريح الشمال)، وكثيرًا ما كانت تسمى أرض الخزر أرض الشمال.

لم يتوقف "الطبرى" عند كلامه على تقسيم الأرض بين ولد نوح، بل لمس جانبًا أنثروبولوجياً Anthropology، لأتباع أبناء نوح، حيث قال: "ولد لنوح سام، وفى ولده بياض وأدمة وحام، وفى ولده سواد وبياض قليل، ويافث وفيهم الشقرة والحمرة"، فكانت الشقرة والحمرة من نصيب أتباع يافث بن نوح.

ويقول "الكرديزى" تحت عنوان "أحوال وأنساب الترك": قال عبد الله بن خرداذبة فى كتابه الأخبار، إن الترك من جملة الصينيين، وقال أبو عمرو عبد الله بن المقفع فى كتابه ربع الدنيا: حينما خرج نوح (عليه السلام) من السفينة، كانت الدنيا خالية من الناس، وكان له ثلاثة أبناء سام وحام ويافث، فقسم الدنيا على أبنائه. فأعطى "لحام" أرض السواد وديارها برها وبحرها وجزائرها، مثل: الزنج والحبشة والنوبة والبربر، وجاءت العراق وخراسان والحجاز واليمن والشام وأيرانشهر من نصيب "سام"، ووصلت الترك وسقلاب ويأجوج ومأجوج حتى الصين إلى "يافث".

ويذكر "الكرديزى" أيضًا أن نوح (عليه السلام) طلب من الله (عز وجل) أن يعلم "يافث" اسمًا حينما يتلوه تسقط الأمطار، فاستجاب الله (عز وجل) دعاءه، وحينما تعلم "يافث" هذا الاسم كتبه على حجر وعلقه فى رقبته احتياطيًا حتى لا ينساه، وكل وقت كان يطلب الأمطار بهذا الاسم كانت الأمطار تتساقط، وإذا ضرب هذا الحجر فى الماء، وأُعطى ذاك الماء لمريض شفى، وكان أبناء "يافث" يتملكون هذا الحجر بالميراث، حتى كثر نسله مثل: أبغر والخلخ والخزر وأمثالهم، فدب الخلاف بينهم بسبب ذلك الحجر.

ويستفاد من هذا النص أن الترك كانوا من جملة الصينيين، كما كانوا من نصيب "يافث"، ولكون الخزر فرع منهم فينسب الخزر بالطبع إلى "يافث"، ويتأكد ذلك من قول "الكرديزى": وكان أبناء يافث يتملكون هذا الحجر بالميراث حتى كثر نسله، مثل: أبغر والخلخ والخزر.

ويقول "المسعودى": وأما ولد "يافث بن نوح"، فقال: أصحاب التاريخ إن جميع اللغات اثنان وسبعون لغة، منها سبع وثلاثون فى ولد "يافث"، وثلاث وعشرون فى ولد "حام"، واثنا عشرة فى ولد "سام"، فذكروا أن ولد يافث من ظهره سبعة وثلاثون، لكل واحد منهم لغة يتكلم بها هو ونسله. وكان فى قسم ولد "يافث" أرمينية وما جاورها إلى الأبواء، فمنهم الأسبان والروس والبرجان والخزر والترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وفارس ومزنان، وأصحاب جزائر البحر والصين والبلغار، وأمم لا تحصى.

وعند حديثه عن مملكة البرجان قال: "وأما البرجان فهم من ولد "يونان بن فايث"، وهى مملكة كبيرة واسعة، وهم يحاربون الروم والصقالبة والخزر والترك، وأشد الأمم حربًا لهم الروم".

وعند حديثه أيضًا عن مملكة الترك قال: "وأما الترك فهم ولد يافث بن نوح (عليه السلام)، وهم أجناس كثيرة، وهم أصحاب مدن وحصون، ومنهم قوم فى رؤوس الجبال والبرارى فى خيم البود".

وعند حديثه عن ملوك الصين والترك يقول: "قد تنازع الناس فى أنساب أهل الصين وبدئهم، فذكر كثير منهم أن ولد "غابور بن سوبيل بن يافث بن نوح"؛ لما قسم "فالغ بن عابر بن أرفخشذ بن سام بن نوح" الأرض بين ولد "نوح" ساروا يسره فى الشرق، فسار قوم منهم من ولد "أرعو" على سمت الشمال، وانتشروا فى الأرض فصاروا عدة ممالك، منهم "الديلم والجيل والطيلسان والتتر وفرغان". فأهل جبل القبق من أنواع اللكز، ثم "اللان والخزر والأنجاد والسرير وكشك" وسائر تلك الأمم المنتشرة فى ذلك الصقع إلى بلاد طوابريدة إلى بحر مانطس وبحر الخزر، إلى البرغز ومن اتصل بهم من الأمم. وهكذا وافق "المسعودى" كل من "ابن قتيبة واليعقوبى والطبرى والكرديزى" رأيهم فى نسب الخزر إلى يافث بن نوح (عليه السلام)، وإن كان اليعقوبى قد أرجع "الخزر" إلى "ماش بن يافث بن نوح"، فإن المسعودى أرجعهم إلى ولد عابور بن سوبيل بن يافث.

بيد أن "ابن الأثير" يقول: وأما يافث فمن ولده جامر وموعج ومورك وبوان وفويا وماشج وتيرش، فمن ولد "جامر" ملوك فارس، في قول: ومن ولد تيرش (الترك والخزر)، ومن وَلد ماشج (الأسبان)، ومن ولد موعج (يأجوج ومأجوج)، ومن ولد بوان (الصقالبة وبرجان)، ومن ولد يافث (الروم) وهم بنو لنطى بن يونان بن يافث بن نوح. وعلى ذلك يكون "ابن الأثير" قد اتفق مع كل من ذكرنا من قبل في نسب "الخزر" ليافث بن نوح؛ لكنه خالف كلاً من اليعقوبي والمسعودي في نسبه "الخزر" إلى أحد أبناء يافث، ففي الوقت الذي جعلهم اليعقوبي لماش بن يافث والمسعودي لولد عابور بن سوبيل بن يافث، جعلهم ابن الأثير لتيرش بن يافث.

ونختتم هذه المصادر "بابن العبري" حيث قال: "ولبني يافث الجربيا، أي الشمال (الأندلس والإفرنجة)، وبلاد اليونانيين والصقالبة والبلغار والأرمن". وإن لم يصرح "ابن العبري" باسم الخزر، فإنه يفهم من كلامه أنهم ضمنًا بين أمة الترك، أي يرجعون في أصلهم قياسًا على ما سبق ليافث بن نوح.

وصفوة القول: فإن المصادر العربية المتنوعة التي أوردناها اتفقت جميعها على حقيقة مهمة، وهي انتماء يهود "الخزر" في أصلهم إلى يافث بن نوح (عليه السلام) لا إلى سام بن نوح، وبذلك ينتفي كلية ارتباطهم "بسام"، ولأن أكثر من ٩٠% من يهود اليوم يرجعون في أصولهم إلى "الخزر" فيكون الارتباط المزعوم بين دولة إسرائيل الحالية وبين سام بن نوح والسامية ضربًا من الخيال يعوزه السند والدليل.

وقد أيدت الدراسات الحديثة هذه الحقيقة، إذ قالت الدكتورة عائشة راتب: "اليهود الذين وجدوا خارج فلسطين، سواء فى العصور القديمة أو الحديثة، لا يمتون بصلة ليهود فلسطين القدامى إلا فى القليل النادر، بعد المذابح التى تعرض لها يهود فلسطين على أيدى الرومان، والكثرة الغالبة منهم تنتمى إلى أجناس غير سامية اعتنقت اليهودية فى فترات مختلفة فى التاريخ، فأكبر طائفة يهودية فى العالم حاليًا هم الإشكيناز الذين يتكلمون لغة البيدش Yeddish، وهم يهود شرق أوربا ووسطها وهم أحفاد الخزر".

وقال "كيستلر": "أكد القراءون Karaites (أفراد مذهب يهودى أصولى) الناطقون بالتركية من أبناء القرم وبولندة وأماكن أخرى، وجود علاقة بينهم وبين "الخزر" وهى علاقة يعززها الدليل المنبثق من الفلكلور والأنثروبولوجيا، وكذلك اللغة، وهناك فيما يبدو قدر ضخم من الأدلة التى تثبت الوجود المسفر لسلالة الخزر فى أوربا".

فالأستاذ "أ. ن. بولياك" أستاذ تاريخ اليهود فى العصور الوسطى بجامعة تل أبيب، يرجع أصول الشعب اليهودى إلى الخزر، وقد شرح ذلك فى كتابه "خزاريا" الذى نشره بالعبرية عام (١٩٤٤م)، وقرر فى مقدمته اعتبار الشعب اليهودى الخزرى نواة لمستوطنة اليهود الكبرى فى شرق أوربا، وقال: "إن اليهود الذين بقوا فى أوربا، وأولئك الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك الذين توجهوا إلى إسرائيل كل هؤلاء يؤلفون غالبية يهود العالم فى الوقت الحاضر، وهم من أصل خزرى".

وبالتالى لم يكن أجدادهم قد أتوا من الأردن بل من نهـر الفولجـا، أجل لم يجيئوا من أرض كنعان بل من القوقاز، وهم من حيـث التركيـب الوراثى أقرب إلى قبائل الهون والآجور Vigur، والماجيار Magyar منهم إلى ذرية إبراهيم وإسحق ويعقوب.

وذكر "كيستلر" أن يهود عصرنا الحالى ينقسمون قـسمين الـسفرديم، والإشكيناز، والنوع الأول سلالة اليهود الذين عاشوا فى أسبانيا وسموا بالعبرية سفاراد، حتى طردوا منها فى نهاية القرن الخامس عشر، واستقروا فى الـبلاد المطلة على البحر المتوسط، وتكلموا لغة أسبانية عرفت بـ "لادينـو"، وقـدر عددهم عام (١٩٦٠م) حوالى خمسة آلاف شخص. بينما بلغ عدد النوع الثـانى فى الفترة نفسها حوالى أحد عشر مليونًا، وعليه فإن لفظ يهودى فـى العـصر الحاضر مرادف لليهود الإشكينازى، ويجب التنويه على أن إشكينازى الكتـاب المقدس شعب يعيش فى مكان قريب من جبل أراراط فى أرمينية، ويرد الاسـم فى سفر التكوين، وفى سفر أخبار الأيام الأول، بوصفه أحد أبناء "جومر بـن يافث"، ثم إشكينازى أيضًا هو أخو "توجارما"، وابن أخ "مأجوج" الـذى ادعـى الخزر طبقًا لما ذكره ملكهم "يوسف" أنه جدهم الأعلى.

وجاء فى مقال على شبكة النت ما يلى: "الحقائق التاريخية تقول إن إسرائيل (١٩٤٨م) لا علاقة لها من قريب أو بعيد بيهود بنى إسرائيل، وإن صهاينة اليوم الذين خرجوا على العالم بافتعال دولة لهم فى فلسطين، بنـاء على قرارات الأمم المتحدة، لا علاقة لهم ببنى إسرائيل من قريب أو بعيد".

ويقول موقع ثان: "توجهت الصهيونية كحركة ولدت إشكينازية "خزرية" لحل مشاكل الإشكيناز "الخزر"؛ لذلك كانت الهجرات الأولى إشكينازية خزرية صافية".

ويقول موقع آخر: "قال العالم الأمريكى "رونالد ديكسون" أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة هارفارد فى كتاب له بعنوان "جنس الإنسان وتاريخه"، "إن بلاد الأناضول وأرمينيا والتتتاس وأواسط آسيا هى المهد الأصلى للأكثرية العظمى لليهود المعاصرين فى العالم، وأنهم ليسوا ساميين"، وفى الموقع نفسه يقول "يوجين بينار" أستاذ علم الأنثروبولوجيا بجامعة جنيف: "إن جميع اليهود بعيدون عن الانتماء إلى الجنس السامى".

وهكذا أجمعت المصادر والمراجع العربية والأجنبية، وكذلك بعض المواقع العلمية من خلال شبكة النت، على أن يهود "الخزر" ينتسبون فى أصلهم إلى "يافث بن نوح" (عليه السلام)، وليس إلى "سام"، وأنهم هم الذين شكلوا غالبية يهود العالم اليوم، وأن دولة إسرائيل ما هى إلا جزءًا منهم، ولعل خير تأكيد لذلك موقف "مناحم بيجن" رئيس وزراء إسرائيل الأسبق، عندما وقعت بين يديه نسخة من كتاب "آرثر كيستلر" القبيلة الثالثة عشرة، حين قال: "فليقولوا إننا خزر أو أى شئ آخر، نحن هنا موجودون بقوتنا"، فلم ينف "بيجن" نسبه للخزر بل أثبته.

➢ اشتقاقات اسم الخزر اصطلاحًا:

يذكر "دنلوب" أن كلمة Kazar الألمانية تعنى هرطقى، وقد اشتقت من اسم الخزر، باعتبار أنهم يهود، كما يذكر أن كلمة "الخزر" مشتقة من جذر الفعل التركى "قز" بمعنى يتجول أو يتبدى. وعلى ذلك يكون "الخزر" هم البداة، مع أن الفعل التركى Quzmak يستعمل دومًا بمعنى يجدف، وليس يتجول، وهذا يعنى أن اسم "الخزر" يمكن أن يكتب ويفسر بأشكال ومعان متباينة، مثل: Quz-er، وQuz-ar، و Quzar، أو Qozar المشتقة من الجزر Quz بمعنى طرف الجبل المواجهة للشمال، فإذا زدنا عليها حروف eri أو er لأصبح المعنى شعب الشمال. وفى لغات أرمينية القديمة، ولغة جورجيا غالبًا ما يشار إلى خاقان الخزر باسم ملك الشمال، وخزارياً باسم الشمال.

ويضيف "دنلوب" أيضًا أن اللغات السلافية بها عدة أشكال لكلمة "خزر" فيها حرف "O" الصوتى فى الشطر الأول من الكلمة Khazar، وينقلنا هذا بالطبع إلى اشتقاقات أخرى من كلمة Koza الروسية، ومعناها "نيل الخنزير"، ومن جذر كلمة Koz فى العديد من الكلمات السلافية بمعنى الماعز. وفى اللغة العبرية تكتب الكلمة بشكل عام مع حرف O-U الصوتى، ويلفظ "كوزارى Kuzari"، و"كزر أو خزر Kuzarium"، ومنه جاءت كلمة Cozri، التى استخدمها Baxtrof وجمعها "كوزاريم Kozrim"، وفى الإغريقية تكتب كلمة "خزاروى Khozaroi "Khazareis، وأحيانًا "خوتزير Khotzer"، وفى اللاتينية تكتب "تشازارى Chazari" و"غازارى Gazari".

وتبقى الإشارة إلى أن "الخزر" قد عرفوا بأسماء وأشكال متعددة، فعند كُتاب العصور الوسطى عرفوا باسم "خوزارس Chozars، وخازيرس Khazirs، وأكاتزيرس Akatzars، وأكاتيرس Akatirs". أما في الحوليات الروسية فقد عرفوا باسم Khwalissesugry، هذا وقد عرف الخزر في المصادر الجورجيانية باسم "كادزاريا Kadzaria"، وهو الاسم الجيورجاني لمنجريليا Mingrelia، وفي الصينية كوسا Kosa. على أن التاريخ الروسي يسمي "الخزر" الأغوز البيض White Ugrian، على النقيض من الهنغاريين الذين يطلقون عليه الأغوز السود، والمؤرخ الأرمني موسى خورني، يذكرهم باسم Khazris.

➢ المعنى اللغوي لاسم الخزر:

يقول "ابن منظور" الخزر بالتحريك كسر العين بصرها خلقة، وقيل هو ضيق العين بصرها، وقيل: هو النظر الذي كأنه في أحد الشقين، وقيل هو أن يفتح عينه ويغمضها، وقيل: الخزر هو حول إحدى العينين... وقيل الأخزر الذي أقبلت حدقتاه إلى أنفه...، وتخازر نظر بمؤخر عينه، والتخازر استعمال الخزر على ما استعمله سيبويه في بعض قوانين تفاعل، فقال: إذا تخازرت وما بي من خزر... وتخازر الرجل إذا ضيق جفنه ليمدد النظر... والخزر جيل خزر العيون. أما "ابن فارس" فيقول: "الخزر" هو ضيق العين وصِغرها، يقال رجل أخزر، وامرأة خزراء، وتخازر الرجل، إذا قبض جفنه ليمدد النظر، قال: إذا تخازرت وما بِي من خزر.

ويضيف "ابن سيدة" الخزر انقلاب الحدقة نحو اللحاظ وهو أقبح الحول، وقد خزرته خزرًا... والأخزر الأحول إحدى العينين. ومن هذه الرؤى لكل من "ابن منظور، وابن فارس، وابن سيدة"، يمكن القول: إن الخزر لغويًا يعنى ضيق العين لزيادة حدة رؤيتها.

ويقول "الزمخشرى": "رجل أخزر ينظر بمؤخرة عينه"، وقيل: هو الذى ضاقت عينه وصغرت، وامرأة خزراء، وقوم خزر وهم إلينا خزر العيون.

قال الأخطل:

خزر العيون إلى رماح بعدما .. جعلت لضيه بالرماح خلالا

وقال وإننى أرى عيونًا خزرًا .. وإنهم ليطلبون وترًا

وبه سمى الخزر وهم جيل من الترك. ويقول "ياقوت": خزر بالتحريك وآخره راء، هو انقلاب فى الحدقة نحو اللحاظ، وهو أقبح الحال، وقال فى كتاب العين: الخزر جيل خزر العيون... وقال "دعبل بن على"، يمدح "آل على (ﷺ)".

وليس حى من الأحياء نعرفه .. من ذى يمان ولا بكر ولا مضر

إلا وهم شركاء فى دمائهم .. كما تشارك أيسار على جزر

قتل وأسر وتحريض ومنهبة .. فعل الغزاة بأهل الروم والخزر

ثانيًا- الدراسة الأنثروبولوجية Anthropology ليهود الخزر:

ذكر "كيستلر" نقلاً عن "باتال" قوله: "لقد أظهرت نتائج أبحاث علم الأجناس البشرية، أنه ليس هناك جنس يهودى، حيث تدل قياسات الأجسام البشرية التى أجريت على مجموعة من اليهود، أنهم يختلفون بعضهم عن بعض، اختلافًا بينًا فى كل الخصائص الجسدية الهامة (القامة، الوزن، لون البشرة، الدليل الرأسى، الدليل الوجهى، فصائل الدم)".

ويقول: "الواقع أن هذا هو الرأى الذى يسلم به اليوم علماء الأجناس والمؤرخون، وفضلاً عن ذلك هناك اتفاق عام على أن مقارنات مقاييس الجماجم، وفحوص فصائل الدم تدل على أن هناك بين اليهود وأهل البلاد التى استضافتهم تشابهًا يفوق ذلك الذى بين اليهود أنفسهم، الذين يعيشون فى بلاد مختلفة.

وليس هناك من شك، فإن هجرات اليهود المتواصلة وعلاقتهم مع الأمم والشعوب، سواء كانت قهرية أم اختيارية، أنتجت جنسًا مهجنًا لا يمكن تعميمه على اليهود، فمثلاً: لا يمكن مقارنة يهودى "روتردام" المتشح بالحمرة الضخم البنية، بمثيله فى العقيدة يهودى "سالونيك" بعيون ذات الومضات الخاطفة، ووجهه الشاحب، وجسمه الهزيل، وبنيته العصبية المزاج.

وبناء على ذلك يمكن الجزم بأن اليهود يتسمون بدرجة كبيرة من التباين المورفولوجى Morphology بين أنفسهم، كالذى يمكن وجوده بين

جنسين مختلفين. والدليل على ذلك أن جميع يهود أوربا هم أصغر من الحجم العادى، وقد ذكر "ربلى Ripley" أن القصر فى القامة مرده إلى العوامل البيئية، وبعد مرور إحدى عشرة سنة على رأيه، قام "موريس فيشبرج" بعمل دراسة تعد أول مسح أنثروبولوجى، كشف من خلالها عن حقيقة مهمة، وهى أن طول الأطفال المهاجرين من شرق أوربا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بلغ فى المتوسط ١٦٧,٩سم، بينما كان متوسط طول آبائهم ١٦٤,٢سم بزيادة قدرها ٢,٧سم فى جيل واحد، وهذا يعنى أن العوامل البيئية والحياة المعيشية لها تأثير على الأجسام، مما يؤيد رأى "ربلى".

ويزيد "فيشبرج" الموقف وضوحًا، فيقول بعد عمل إحصائية مقارنة الأطوال فى كل من بولندة والنمسا ورومانيا والمجر وغيرها، بين قامة اليهود، وقامة الأمميين "Gentiles"، إن قامة اليهود اختلفت عن قامة السكان الأمميين الذين يعيشون بينهم، بمعنى أنهم كانوا طوالاً نسبيًا، حيث كان السكان الأصليين طوالاً والعكس بالعكس، وفضلاً عن ذلك فقد تبين أنه داخل الشعب نفسه، بل فى داخل المدينة نفسها "وارسو"، يختلف طول قامة اليهود وسائر المواطنين، بالنسبة لدرجة ازدهار الحى الذي يعيشون فيه.

يؤيد ذلك الدكتور جمال حمدان، بقوله: "إن القامة صفة جسمية مرنة مطاطة تتكيف بالبيئة الطبيعية والاجتماعية بالصحة والتغذية، وإنها صفة مكتسبة وظاهرة اجتماعية مثلما هى أو أكثر مما هى وراثية جامدة، وأغلب الظن أن قصر قامة اليهودى هو وليد الجيتو Ghetto، وحياة التوتر

والخوف من الاضطهاد، كما أن من المعتقد أن تفشى عادة الزواج المبكر جدًا بين اليهود، حتى وقت قريب كانت مسئولة عن نوع من الانحطاط الجسمى انعكس على القامة، أما حين وحيث تزول هذه الظروف البيئية فإن قامة اليهودى تنطلق لتقترب من قامة الجنتيل، كما فى حى "الوست إند" الراقى بلندن، وكما حدث حديثًا فى الولايات المتحدة".

وهكذا وافق الدكتور جمال حمدان كلاً من "ريلى، وفيشبرج" رأيهما فى مدى تأثير البيئة الاجتماعية على اليهود أكثر من تأثير العوامل الوراثية، بل تأثير مستوى المعيشة على اقتراب الطول بين اليهودى والجنيتل حتى على مستوى الأحياء السكانية.

وإذا كان هناك ثمة اختلافات فى محيط الصدر، وسعة الرئتين لصالح الأمميين (الجنيتل)، عن يهود العزلة (الجيتو)، فإن مرد ذلك إلى طبيعة نمط الحياة والبيئة إلى جانب نوع الحرفة، فالحرفة الداخلية التى فرضها الجيتو على اليهودى، لا سيما الحرف اليهودية التقليدية، كالخياطة والصياغة وصناعة الأحذية، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بتلك الظاهرة، التى تماثل القامة فى عدم كونها صفة جنسية وراثية أصلية، بل صفة متغيرة تبعًا لتحسن الأحوال البيئية والمعيشية، فطالما تحقق ذلك اختفت تلك الظاهرة.

وإذا تركنا الطول وبعض الحرف، واتجهنا إلى قياسات الجماجم؛ لتبينا وجود تشابهًا ملموسًا بين جماجم اليهود ومثيلاتها الوطنية، فى حين

يظهر الاختلاف واضحًا بين جماجم اليهود فيما بينهم فى بقـاع مختلفـة، ولنأخذ مثلاً: يهود السفرديم، ويهود الإشكيناز، فالسفرديم لهم رءوس طويلة، أما الإشكيناز فرءوسهم عريضة، وقد استنتج "كونتشيرا" من هذا الاخـتلاف أن الأصل الجنسى لليهود الخزر الإشكيناز مـستقل عـن أصـل اليهـود السفرديم، وهذا يؤكد ما طرحناه سابقًا فى أصل يهود الخزر ونسبهم إلـى يافث وليس إلى سام، وبالطبع يؤيد هذا ما جاء فى سفر التكـوين، وهـذه مواليد بنى نوح: سام وحام ويافث، وولد لهم بنون بعد الطوفان، بنو يافث: جومر ومأجوج ومادای وياوان وتوبال وماشك وتيـراس، وبنـو جـومر إشكيناز وريغاث وتوجرمة.

وهناك أيضًا سمات جسدية تنفى عن اليهود وحدة الجنس، فمثلاً: مع تميز اليهود بشعر داكن وعيون داكنة، فإن "كوماس" يقـرر أن ٤٩% مـن يهود بولندة كان شعرهم فاتح اللون، و٤٥% من أطفال اليهود فـى مدينـة النمسا كانوا شقراً Aufous، على حين كانت نسبة الشقر بين أطفال غيـر اليهود أكبر من ذلك.

وربما يُشاكل هذا ما ذكره "ابن سعيد" عن يهود الخزر، إذ قال "أما عن الخزر" الذين ينزلون فى شمال الأرض المأهولة قرب الإقلـيم الـسابع وبلادهم مطيرة؛ لذلك فإن بشرتهم بيضاء، وعيونهم زرقاء، وشعرهم كثيف ضارب إلى الحمرة فى الغالب.

وإذا انتقلنا إلى الأنف، فالأقنى المحدب الذى ألصق باليهود، وأشاعه رسامو الكاريكاتير حتى صار علمًا، فليس فى الحقيقة صفة يهودية، إذ الملاحظات الأنثروبولوجية تثبت أولاً: أنه ليس منتشرًا بين اليهود بدرجة خاصة أو غير عادية. وثانيًا: أنه منتشر بين غير اليهود بلا حدود، ففى بولندة لم تزد نسبة حدوثه بين اليهود عن ٩% من العينات التى أجرى البحث عليها، وهى نفس نسبة البولنديين؛ لكن الأنف المستطيلة هى الأكثر شيوعًا بين اليهود، فمثلاً أنوف يهود اليمن تصل إلى ٦٠% فى العينة، بل وهناك نسبة من الأنف المقعر، وفى إشكيناز أوربا تسجل البيانات سيادة الأنف المستقيم، فى حين يقل الأنف المحدب عن النصف، بل يكثر المقعر فى يهود روسيا.

ومن ناحية أخرى فالأنف الأقنى المحدب شائع بوفرة بين غير اليهود، وجد بين ثلثى العينة فى جنوب شرق بولندا، وهو منتشر كثيرًا بين العرب والأفغانيين وكثير من الأوربيين، وبهذا لا يمكن اتخاذ الأنف اليهودى كدلالة خاصة، وإنما هو تشكل أو تشوه خاص يشمل انخفاض أو تدنى طرف الأنف مع ارتفاع جناحى المنخرين حتى ليبدوان معلقين على الوجنتين، مما يؤدى إلى ظهور قصبة الأنف مرئية بوضوح، والظاهرة كلها تسمى بالمنخر Nostrility.

يبقى ما يقال عن السحنة اليهودية، فهى ليست دلالة أو صفة عامة على اليهود، وإن وجدت عند بعض الإشكيناز فى أوربا، فهى لا تكاد توجد

عند إشكيناز أمريكا، كما أنها ليست معروفة عند غير اليهود، ومن ثم فهى كثيرًا ما تخدع العين فيأخذ غير اليهودى على أنه يهودى، ويعرف اليهودى على أنه غير يهودى. والأهم أن سحنة الوجه ليست صفة جسمانية بقدر ما هى تعبير اجتماعى مكتسب من البيئة الاجتماعية صنعها "الجيتو" ولم تصنعها الوراثة أو البيولوجيا. تلك إذن مجموعة من الصفات الجسمية المنسوبة إلى اليهود أو الملاحظة فيهم، لا تدل على الأصل العرقى ولا تحسم مشكلة، وهى إن دلت على شئ فإنما تدل على انعدام أية وحدة بين يهود العالم فى تلك الصفات. وتأتى فصيلة الدم كأقوى دليل على أن اليهود لا يمثلون جنسًا نقيًا، فيقول "باتاى": تظهر جماعات اليهود فيما بينها اختلافات كبيرة فى فصائل الدم، بينما تكون أوجه الشبه ملموسة مع أبناء بيئتها غير اليهود، ويتضح ذلك فى الجدول الآتى:

البلد	اليهود	غير اليهود
ألمان	٢,٧٤	٢,٦٣
رومانيون	١,٥٤	١,٥٥
بولنديون	١,٩٤	١,٥٥
مغاربة	٠١,٦٣	١,٨٣
عراقيون	١,٢٢	١,٣٧
تركستانيون	٠,٩٧	٠,٩٩

وهكذا أوضح الجدول مدى التقارب الكبير فى تشابه فصائل الدم بين اليهود، والسكان الوطنيين الذين يعيشون بينهم، ويمكن تلخيص ذلك فى صيغتين رياضيتين:

١. غ أ – ى أ > ى أ – ى ب

٢. غ أ – غ ب = ى أ – ى ب

أى أن المعيار الأنثروبولوجى بين غير اليهودى "غ"، واليهودى فى بلد معين "أ" هو أقل من الاختلاف بين اليهودى "ى" فى بلاد مختلفة أ ، ب. وأن الاختلاف بين غير اليهودى "غ" فى البلاد أ ، ب يشبه الاختلاف بين اليهودى "ى" فى أماكن مختلفة أ ، ب.

وعلى ضوء ذلك فإن الاختلاف الواضح بين اليهود فى الأقطار المختلفة من حيث الخصائص الجسمية، وتنوع ترددات جينات فصائل الدم، تجعل أى تصنيف جنسى موحد لهم أمرًا متناقضًا.

والتساؤل المهم بعد هذه الدراسة هو، هل لليهود حق فى فلسطين أم أنها أرض غربة بالنسبة لهم؟ وهل هم حقًا جنس نقى تغير بمؤثرات بيئية فحسب، أم طائفة دينية مؤلفة من عناصر عرقية اكتسبت بالتحول من دين لآخر، وبالاختلاط والتزاوج أثناء نزوحهم إلى مختلف أنحاء العالم صفاتهم التى ألمحنا إليها؟ وسوف نلتمس الإجابة من توراتهم، ومن واقع التاريخ.

فلسطين أرض غربة الآباء الجوالين

The Wanderings of Patriarchs:

كانت فلسطين أرض غربة بالنسبة "لسيدنا إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب" (عليهم السلام)، فقد جاء فى "سفر التكوين" أن "سيدنا إبراهيم" ترك حاران وانتقل "من هناك إلى أرض الجنوب، وسكن بين قادش وشور، وتغرب فى جرار، وقال "إبراهيم" عن سارة امرأته هى أختى ...، فأرسل "أبيمالك" ملك جرار، وأخذ "سارة" فجاء الله إلى أبيمالك فى حلم وقال له ... فإنها متزوجة ببعل ... فقال يا سيد ... ألم يقل هو لى: إنها أختى، وهى أيضًا نفسها قالت هو أخى ... فقال له الله فى الحلم ... فالآن رد امرأة الرجل فإنه نبى ... فأخذ أبيمالك غنمًا وبقرًا وإماءً وأعطاها لإبراهيم ورد إليه سارة امرأته".

وهكذا كانت فلسطين بنص التوراة أرض غربة لسيدنا إبراهيم (عليه السلام)، وكان الفلسطينيون يحكمون بها، بل كانت يدهم هى العليا، كما ظهر فى الحوار الذى دار بين "إبراهيم" (عليه السلام)، والملك أبيمالك بشأن السيدة سارة.

وكما كانت فلسطين أرض غربة بالنسبة لسيدنا "إبراهيم" (عليه السلام)، كانت كذلك لولده إسحاق، حيث نزح هو الآخر إلى نفس المدينة الفلسطينية، عندما أصابت الأرض مجاعة. "وكان فى الأرض جوع غير الجوع الأول الذى كان فى أيام إبراهيم، فذهب إسحاق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين

بجرار، وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر، اسكن فى الأرض التـى أقول لك، تغرب فى هذه الأرض فأكون معك وأباركك؛ لأنى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد". وبالتالى كانت أرض فلسطين دار غربة لكل من سيدنا إبراهيم وولده إسحاق (عليهما السلام).

فإذا انتقلنا إلى "يعقوب" (عليه السلام)، لرأينا سفر التكوين يقول: "وسكن يعقوب فى أرض غربة أبيه فى أرض كنعان". وعلى هذا تكون أرض فلسطين "أرض كنعان" هى دار الغربة لكل من سيدنا إبراهيم وابنه إسحاق، وحفيده يعقوب (عليهم السلام).

✍ من غربة فلسطين إلى غربة مصر:

كانت مصر هى الغربة الثانية بعد فلسطين لبنى إسرائيل، إذ "ارتحل إسرائيل، وكل ما كان له، وأتى إلى بئر سبع، وذبح ذبائح لأبيه إسحاق، فكلم الله إسرائيل فى رؤى الليل، وقال "يعقوبُ يعقوب"، فقال: ها أنذا، فقال: أنا الله "إله أبيك، لا تخف من النزول إلى مصر، لأنى أجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر ... فقام يعقوب من بئر سبع وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم فى العجلات التى أرسل فرعون لحمله، وأخذوا مواشيهم وكل مقتناهم التى اقتنوا فى ارض كنعان، وجاءوا إلى مصر، يعقوب وكل نسله معه بنوه وبنو بنيه معه وبناته وبنات بنيه، وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر".

وهكذا جاء "يعقوب" إلى مصر دار غربته الثانية ومعه أبناءه من زوجاته (ليئة، وزلفة، وراحيل، وبلهة) فمن ليئة بنت لابان (رأوبين وبنيه الثلاثة، وشمعون وبنيه الستة، والذى كان منهم شأول ابن الكنعانية، ولاوى وبنيه الثلاثة، ويهوذا وبنيه وبنى بنيه وكلهم خمسة، ويساكر وبنيه الأربعة، وزبولون وبنيه الثلاثة). وقد ولدوا فى فدان أرام مع دينة ابنته وعددهم ثلاث وثلاثون، ومن "زلفة" صفية ليئة (جاد وبنيه، وأشير وبنيه وعددهم ست عشرة نفسًا)، ومن "راحيل" (يوسف وبنيامين، ومنهما أربعة عشرة)، ومن "بلهة" صفية راحيل (دان وبنيه، ونفتالى وبنيه وعددهم سبع). ليبلغ العدد الذى رافق يعقوب، ومن وُلد بمصر ليوسف سبعون نفسًا.

فكانت مصر دار غربة ثانية لبنى إسرائيل، وعند لقائه بيوسف، قال "يعقوب": "ها أنذا أموت، ولكن الله سيكون معكم ويردكم إلى أرض آبائكم، وأنا قد وهبت لك سهمًا واحدًا فوق أخوتك، أخذته من يد الأموريين بسيفى وقوسى. ولو تأملنا هذه الكلمات لرأيناها تحمل تناقضًا تاريخيًا، فلم تكن فلسطين أرض بنى إسرائيل ليعودوا إليها، بل كانت أرض "كنعان" كما جاء فى سفر التكوين نفسه، حتى السهم الذى وعد به يعقوب ابنه "يوسف" هو من أملاك الأموريين، وقد أخذه منهم قسرًا.

وجدير بالملاحظة أنه لم يولد "ليعقوب" (عليه السلام)، بأرض فلسطين سوى ابنه "بنيامين" من زوجته "راحيل" بنت "لابان"، فهل يعطى مولده الحق لبنى إسرائيل حتى يعتبروا أرض فلسطين هى أرض ميعادهم، والتى ثبت

بالدليل القاطع أنها أرض غربتهم، فإذا كان ذلك كذلك فما بالنا لو كان كل أبناء "يعقوب" قد ولدوا بها.

ولا يفوتنا أن نذكر أن "إسحاق ويعقوب" كانا على ملة "إبراهيم" (عليه السلام)، مسلمين حنيفيين، ولم يكونا يهوديين، مما يجعل عصرهم مختلفًا تمامًا عن عصر "موسى" (عليه السلام)، واليهود يؤيد ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٣).

ويقول جل شأنه: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٤٠).

ومن هنا أطلق علماء الآثار على هذا العصر عصر الآباء الجوالين، وعن نقاوة الجنس اليهودى، يقول: "ول ديورانت" بخلاف ما قدمنا: "والحق أن وجود جنس نقى فى الشرق الأوسط بين الآلاف من تياراته الجنسية التى تتلاطم فيه أمر يتطلب مستوى من الفضيلة لا يعقله عاقل، على أن اليهود كانوا أنقى أجناس الشرق الأدنى غير النقية".

وبهذا أكد "ديورانت" عدم نقاء الجنس اليهودى، كما أثبتنا ذلك من خلال الدراسة السابقة، وبالطبع يقودنا هذا الكلام إلى الحديث عن قضية الشتات والاختلاط بالنسبة لليهود.

الشتات Diaspora والاختلاط:

جاء فى البروتوكول الحادى عشر، لحكماء صهيون: "والله قد أنعم علينا نحن الشعب المختار بنعمة السبى والجلاء، والتفرق والشتات فى الأرض، وهذا الأمر الذى كان فيما مضى جل ضعفنا، انقلب فيما بعد سبب قوتنا التى أفضت بنا الآن إلى أن نلج الباب الذى منه نبسط سيادتنا وسلطاننا على العالم كله، وأما ما بقى علينا أن نبينه ونرفعه فوق الأساس فليس علينا بعسير".

وهكذا يعتبر اليهود الشتات من أسباب قوتهم ودافعهم إلى بسط سيادتهم، على الرغم من الضعف الذى أصابهم فى تلك الفترة، ويمكن أن نميز بين ثلاثة عصور للشتات (البابلى، والهلينى، والرومانى). أما عن "البابلى" فيذكر تاريخيًا أن "سرجون" ملك "أشور" قام بنقل كثير من يهود السامرة من أبناء القبائل العشر إلى بابل، وأسكن بدلاً منهم بعض أسر البلاد المفتوحة. وهذا فى حد ذاته شتاتًا واختلاطًا لليهود فى نفس الوقت، سواء للمشتتين مع من يقيمون بينهم، أو من تبقى منهم مع الذين أتى بهم سرجون.

ويأتى "نبوخذ نصر" عام (٥٨٦ ق.م) لغزو بنى إسرائيل فقتل منهم خلقًا كثيرًا، وسبى بقيتهم على رأى "ابن العبرى"، وقضى على مملكة يهوذا

فى الجنوب، والتى ضمت قبيلتى "يهوذا وبنيامين"، ثم دمر الهيكل. جاء فى سفر التكوين: "جاء نبوخذ ناصر ملك بابل هو وكل جيشه على أورشليم ونزل عليها، وبنو عليها أبراجًا حولها، ودخلت المدينة تحت الحصار إلى السنة الحادية عشرة للملك صدقيًا ... اشتد الجوع فى المدينة، وهرب جميع رجال القتال ليلاً من طريق الباب بين السورين اللذين نحو جنة الملك، وكان الكلدانيون حول المدينة مستديرين فذهبوا فى طريق البرية، فتبعت جيوش الكلدانيين الملك فأدركوه فى برية أريحا، وتفرقت جميع جيوشه عنه، فأخذوا الملك وأصعدوه إلى ملك بابل إلى ربلة، وكلموه بالقضاء عليه وقتلوا بنى صدقيًا أمام عينيه، وقلعوا عينى صدقيًا وقيدوه بسلسلتين من نحاس، وجاءوا به إلى بابل.

وهكذا أودع "صدقيًا هو" السجن، وقتل أبناؤه، ثم قام "نبوزردان" بالزحف إلى أورشليم، "جاء نبوزردان رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم، وأحرق بيت الرب وبيت الملك، وكل بيوت أورشليم، وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار، وجميع أسوار أورشليم مستديرة هدمها كل جيوش الكلدانيين، الذين مع رئيس الشرط وبقية الشعب الذين بقوا فى المدينة، والهاربون الذين هربوا إلى ملك بابل وبقية الجمهور سباهم نبوزردان رئيس الشرط، ولكن رئيس الشرط أبقى من مساكين الأرض كرامين وفلاحين".

فبنص التوراة دمرت أورشليم، وسبى أهلها تمامًا فيما عرف بالسبى البابلى أو الشتات البابلى، فلم يتبقى لليهود فى أرض فلسطين أرض غربتهم وليست معادهم شئ.

لكن اليهود فى منفاهم بدأوا تنظيم أنفسهم سرًا للتآمر على "بابل والعراق"، وإنشاء حركة صهيونية فى ذاك الوقت السحيق فى التاريخ، وكان لتلك الحركة دعاتها الذين تباكوا على حالهم، وألفوا الأناشيد والمزامير من أجل ذلك. جاء فى المزامير:

على أنهار بابل هناك جلسنا، بكينا أيضا، عندما تذكرنا صهيون. على الصفصاف فى وسطها علقنا أعوادنا؛ لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة ومعذبونا سألونا فرحًا قائلين: رنِّموا لنا من ترنيمات صهيون كيف نرنم ترنيمة الرب فى أرض غريبة؟ إن نسبتُك يا أورشليم تنسى يمينى؛ ليلتصق لسانى بحنكى إن لم أذكرك ، إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحى، اذكر يارب لبنى آدوم يوم أورشليم القائلين هُدُّوا. هُدّوا حتى إلى أساسها. يا بنت بابل المخربة، طوبى لمن يجازيك جزاءك الذى جازيتنا! طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة!

وهكذا نرى الفكر الصهيونى واضحًا، حيث الإحساس بالاغتراب والبكاء بسبب الأسر، والتعذيب والتغنى بأورشليم، وإظهار عداء البشر لها،

بالرغم من أنها كما أثبتنا دار غربة، ثم الدعوة الصريحة للعدوان على بابل وضرب أطفالها بالصخر.

ويلاحظ أن حملة الدعاية الصهيونية تلك للعودة إلى أورشليم لم تكن وقفًا على يهود الأسر البابلى وحدهم، بل كان للأنبياء نصيب فيها. فها هو "حزقيال" وهو من أنبياء تلك الفترة، يقول: "كانت علىّ الدرب، فأخرجنى بروح الرب، وأنزلنى فى وسط البقعة وهى ملآنة عظامًا، وأمَرّنى عليها من حولها، وإذا هى كثيرة جدًا على وجه البقعة، وإذا هى يابسة جدًا، فقال لى: يا ابن آدم أتحيا هذه العظام؟ فقلت: يا سيد الرب أنت تعلم. فقال لى تنبأ على هذه العظام وقل لها: أيتها العظام اليابسة اسمعى كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهذه العظام ها أنذا أدخل فيكم روحًا فتحيون، وأضع عليكم عصبًا وأكسيكم لحمًا وأبسط عليكم جلدًا، وأجعل فيكم روحًا فتحيون وتعلمون أنى أنا الرب.

فتنبأت كما أمرت. وبينما أنا أتنبأ كان صوت، وإذا رعش فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه، ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها، وبُسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح، فقال تنبأ للروح، تنبأ يا ابن آدم، وقل للروح هكذا قال السيد الرب، هلم يا روح من الرياح الأربع وهُب على هؤلاء القتلى ليحيوا، فتنبأت كما أمرنى، فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جدًا جدًا، ثم قال لىّ: "يا ابن آدم هذه العظام هى كل بيت إسرائيل، هاهم يقولون يبست عظامنا وهلك رجاؤنا قد انقطعنا؛

لذلك تنبأ وقل لهم: هكذا قال السيد الرب: ها أنذا أفتح قبوركم، وأصعدكم من قبوركم يا شعبى، وأجعل روحى فيكم فتحيون، وأجعلكم فى أرضكم، فتعلمون أنى أنا الرب تكلمت وأفعل يقول الرب.

وهكذا أوضح سفر "حزقيال" أن الله عز وجل مع اليهود يحي عظامهم ويجدد فيهم الأمل حتى يعودوا إلى أرضهم؛ لأنهم شعبه المختار.

واليهود بالطبع لم يتورعوا عبر تاريخهم عن التعاون مع قوى الظلم والعدوان، ولو تسبب ذلك فى كوارث للبشرية، فقديمًا تعاونوا مع الفرس لتنفيذ مخططاهم للتوسع فى العراق، وأجزاء من شبه جزيرة العرب، وبلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين)، ثم مصر التى احتلت بقيادة "قمبيز" الفارسى، الذى استعان باليهود، ودل على ذلك مجموعة من الوثائق كتبت باللغة الآرامية على ورق البردى فى جزيرة "فيلة" بأسوان، وأثبتت مدى التعاون بين اليهود والفرس فى عدد من المجالات. هذا ما اتصل بالشتات البابلى.

أم الشتات الثانى: وهو "الهلينى" فيمتد منذ الإسكندر الأكبر، وحتى عصر البطالمة، وكان اتجاه اليهود فيه نحو الغرب، على عكس الشتات البابلى، وبالرغم من مقاومة بعض اليهود للصبغة الهلينية فيما عرف بالثورة المكابية، إلا أن اليهود انتشروا وتشتتوا فى البلاد، ففى مصر كان ثلث سكان الإسكندرية من اليهود، وكذلك وُجد اليهود فى كل من سوريا وآسيا

الصغرى، والبلقان، وسواحل البحر الأسود الشمالية، وجنوب روسيا، فضلاً عن يهود الخزر عين بحثنا على سواحل بحر قزوين وفى القرم.

ونأتى إلى الشتات الثالث: وهو الرومانى، وقد بدأ مع ثورة المكابيين، واكتمل مع الغزو الرومانى لفلسطين الذى رد على تمرد اليهود بتخريب أورشليم والهيكل، وبإبادة اليهود فى مذبحة عام ٧٠ ميلادية على يد "تيتوس"، وبالرغم من عودة بعض اليهود إلى الثورة عام ١٣٥م، إلا أن الإمبراطور "هادريان" قام بعمل مذبحة لهم، أنهت وجودهم فى فلسطين. ومهما كانت أرقام الضحايا فى المذبحة الرومانية مبالغ فيها، فإنه على الأقل راح ضحيتها ما لا يقل عن ستمائة ألف بين قتيل وأسير، ثم شرد من تبقى؛ لأن الرومان حرموا على اليهود دخول القدس، فطردوا البقية الباقية من فلسطين، وكان هذا هو التاريخ وإلى الأبد الذى انتهت فيه علاقة اليهود بفلسطين سياسيًا وسكانيًا، إنه الخروج الأخير على رأى الدكتور جمال حمدان، هذا عن الشتات فى العصور الوسطى، والذى أعقبه شتات آخر، فهاجرت أعداد كبيرة منهم إلى الولايات المتحدة وفلسطين، وهم يهود شرق أوربا، ولاسيما الإشكيناز Ashkenazim.

وبالطبع تطلّب الوضع اختلاط هؤلاء المشتتين مع سكان البلاد. مما يؤكد عدم نقاوة الجنس اليهودى، كما أوضحنا من قبل، ولم يكن هذا الاختلاط وقفًا على العصر الحديث فحسب، وإنما عاصر الاختلاط اليهود منذ عصر أنبياءهم؛ لأن هناك أمم عاصرتهم مثل الأموريين، وكانوا شقرًا

مستطيلى الرأس طوال القامة، والحبشيين وكانوا جنسًا أسمر البشرة، والكوشتيين Gusshites، وهم جنس شبه زنجى، وعاصرهم أيضًا الحيثيون، فضلاً عن الفرس والعرب وغيرهم.

وقد تزوج العبرانيون القدامى من كل هؤلاء، فيذكر أن سيدنا "إبراهيم" تزوج من هاجر المصرية، ومن قطوراء التركية، وتزوج سيدنا "إسحاق" من آرامية هى ابنة خاله، وتزوج "عيسو" من ابنة عمه إسماعيل العربية. كما تزوج "ياهوذا بن يعقوب" شرع الكنعانية، وقد ولد الملك "شاءول" من أم كنعانية، وكانت أم سيدنا "داود" "روت" المؤابية، وكان سيدنا سليمان من أم حبشية، وتزوج من نساء كثيرة: "وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، موابيات، وعمونيات، وأدوميات، وصيدونيات، وحبشيات، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم. كما تزوج "شمشون" من دليلة الفلسطينية، وأيضًا تزوج سيدنا موسى من "زيبورا" الميديانية.

وهكذا لم يكن اليهود جنسًا نقيًا بل مهجنًا منذ البداية، وهناك مصدر مهم للتهجن، وهو الأعداد الوفيرة من أكثر الأجناس اختلافًا، أولئك الذين تحولوا إلى اليهودية، مثل: فلاشا الحبشة ذوو البشرة السوداء، ويهود "كاى فنج" الصينيون، واليهود اليمنيون، إلى أن نصل إلى يهود الخزر محور بحثنا. وكل هذا يؤكد عدم نقاء الجنس اليهودى على مر التاريخ حتى تسقط دعاويهم فى هذا الشأن.

ثالثًا- رسوم يهود الخزر:

توضح الدراسة رسوم الخزر فى نظام حكمهم، وكيفية اختيار ملكهم، ومدى ما يحظى به من تقديرهم واحترامهم وطاعتهم، ونظام قضائهم، وكذلك قيادة جيوشهم، وطريقة دفن موتاهم لاسيما ملكهم، وأخيرًا عادة حرق موتاهم.

أ- ثنائية الحكم واختيار ملك الخزر:

الثنائية هى مظهر الحكم فى دولة يهود الخزر، فهناك ملكان يدعى أحدهما "خاقان الكبير"، والآخر "خاقان به"، ومع أن الأول ليس له من الأمر شئ، فإن الحكم لا يستقيم إلا به. أما الآخر فهو الذى يقود الجيوش ويسوسها، ويدبر أمر المملكة ويرعى شئونها.

ويشير "الكرديزى" إلى هذه الثنائية مع تصحيف طفيف، فيذكر أن للخزر ملكان عظيمان، الأول يدعى "خاقان الخزر"، الذى ليس له إلا الاسم فقط، والآخر يدعى "الشاد" وهو الذى يضبط عمل الدولة، والحشم وغير ذلك.

ويؤكد "المسعودى" هذه الثنائية بشئ من التفصيل، فيذكر أن للخزر ملكان أحدهما يدعى "خاقان"، والآخر يدعى "ملك الخزر"، ومن رسم "خاقان" أن يكون فى أيدى ملك الخزر يقطن فى جوف قصره، لا يعرف الركوب، ولا الظهور للخاصة ولا للعامة، ولا الخروج من مسكنه معه حرمه، وليس له من

الأمر شيئًا، ومع ذلك فأمر المملكة لا يستقيم إلا به، فإذا أجدبت أرض الخزر أو تعرضت لخطر محدق، أو أغارت عليهم أية أمة من الأمم، أو فاجأهم أمر من الأمور، نفرت الخاصة والعامة إلى ملك "الخزر" قائلين له: "قد تطيرنا بهذا الخاقان وأيامه، وقد تشاءمنا به، فاقتله أو سلمه إلينا نقتله، فربما سلمه إليهم فقتلوه، وربما تولى هو قتله، وربما رق له فدافع عنه".

وهكذا أوضح "المسعودى" أهمية ملكى الخزر "فى الحكم"، فخاقان بالرغم من أنه ليس له من الأمر شئ إلا أن الحكم لا يستقيم إلا بوجوده، وأما الآخر فهو المسئول عن إدارة أمر المملكة، واختيار "الخاقان" أو التخلص منه.

➢ اختيار ملك الخزر:

أما اختيار ملك الخزر فله ارتباط وثيق بثنائية الحكم؛ لذلك يقول "الإصطخرى": "وأما سياستهم وأمر المملكة بهم فإن عظيمهم يسمى "خاقان خزر"، وهو أجل من ملك الخزر، إلا أن ملك الخزر هو الذى يقيمه، وبعد تأكيد هذه الثنائية يقول: "وإذا أرادوا أن يقيموا هذا "الخاقان" جاءوا به، فيخنقونه بحريرة حتى إذا قارب أن ينقطع نفسه قالوا له كم تشتهى مدة الملك؟ فيقول كذا، وكذا سنة، فإن مات دونها، وإلا قتل إذا بلغ تلك السنة".

وبالطبع أوضحت هذه الأسطر القليلة الارتباط بين ثنائية الحكم واختيار "خاقان الخزر" فلملك "الخزر" دخل كبير فى اختيار هذا الخاقان.

بيد أن "ابن حوقل" يتعرض لهذه الثنائية والارتباط بينها وبين اختيار ملك "الخزر" بطريقة مغايرة، فيقول: "أما سياستهم وأمر المملكة فيهم فإنها تنتمى إلى عظيمهم المسمى "خاقان خزر" وهو أجل من ملك الخزر المسمى "باك"؛ لأن ملك الخزر به ينعقد، وهو الذى يقيمه ويثقفه، وإذا أرادوا أن يقيموا ملكًا بعد هلاك ملكهم جاء هذا الخاقان به فذكره الله ووعظه وعرفه ما عليه وما له من حقوق الملك وأثقاله، وما ينوبه من الإثم والوزر، فيما يتكلفه إن قصر فيه أو عمل بغير الواجب منه، وأتى غير الصواب والحق فى أحكامه... فإذا جاء به ليقعدوه فى المملكة ويسلموا عليه بها خنقه خاقان الخزر بحريره، فإذا قارب أن ينقطع نفسه قالوا له: كم تحب أن يكون مدة ملكك، فيقول كذا وكذا. فإن مات دون تلك المدة فبقضاء الله مات، وإن بقى بعد ما ذكره بلسانه قتل بعد بلوغه الأجل".

وهكذا أكد "ابن حوقل" ثنائية الحكم فى بلاد الخزر، ومدى الارتباط الوثيق بينها وبين اختيار الملك؛ لكن "ابن حوقل" خالف الاصطخرى فى طريقة الاختيار، حيث جعل "خاقان الخزر" هو الذى يقوم باختيار الملك بعد تأديبه وتثقيفه ليكون مستعدًا لتحمل المسئولية، بينما قال بعكس ذلك "الاصطخرى" تجعل ملك الخزر هو الذى يختار الخاقان، ومدة حكم ملك الخزر "أربعون سنة" إذا جاوزها يومًا واحدًا قتلته الرعية وخاصته، وقالوا هذا قد نقص عقله واضطرب رأيه".

ويلقى "كيستلر" الضوء على ثنائية الحكم فى بلاد الخزر كمظهر من رسومهم، فيذكر: أن الخاقان يمثل السلطة الدينية، بينما نائبه يمثل السلطة الدنيوية، وهو نظام شبيه بنظام "اليابان" فى العصور الوسطى، حيث كانت السلطة الدنيوية مركزة فى يد الشومان، بينما كان "الميكادو" يعبد بوصفه رئيسًا صوريًا مقدسًا.

وهكذا تدل الثنائية فى ذهن يهود الخزر على تميز مطلق بين ما هو مقدس وما هو دنيوى، وقد تبدو خصائص تقديس الخاقان فيما رواه ابن فضلان، والاصطخرى، وابن حوقل.

يقول "ابن فضلان": "لا يدخل على الخاقان الأكبر إلا الملك متواضعًا يظهر الإخبات والسكينة، ولا يدخل عليه إلا حافيًا وبيده حطب، فإذا سلم عليه أوقد بين يديه ذلك الحطب، فإذا فرغ من الوقود جلس مع الملك على سريره عن يمينه، ويخلفه رجل يقال له كندر خاقان، ويخلف هذا أيضًا رجل يقال له جاد شيغر". ويذكر "ياقوت" أن الملك الأكبر لا يجلس الناس ولا يكلمهم ولا يدخل عليه أحد غير ما ذكر.

وهذا دلالة على إجلال خاقان الخزر الأكبر، ويقول "الاصطخرى": "الخاقانية لا تصلح إلا فى أهل بيت معروفين، والخاقان يعظم ويُسجد له إذا دُخل إليه، ولا يصل إليه أحد إلا نفر يسير مثل الملك ومن فى طبقته، ولا يدخل عليه الملك إلا لحادثة، فإذا دخل عليه تمرغ فى التراب وسجد، وقام

من بعد حتى يأذن له بالتقرب، وإذا خربهم حزب عظيم أخرج فيه خاقان، فلا يراه أحد من الأتراك ومن يصافيهم من أصناف الكفر إلا انصرف ولم يقاتله تعظيمًا له".

وينقل "ابن حوقل" تقريبًا نفس النص عن الاصطخرى، ويضيف "ابن فضلان" أنه إذا ركب هذا الملك الكبير ركب سائر الجيوش لركوبه، ويكون بينه وبين المواكب ميل، فلا يراه أحد من رعيته إلا خرّ لوجهه ساجدًا له لا يرفع رأسه حتى يجوزه.

وعن طاعة "الخزر" العمياء لملكهم إجلالاً وإكبارًا له، يقول "الاصطخرى"، وعنه نقل "ابن حوقل" بتصحيف طفيف "يبلغ من طاعتهم لملكهم أن أحدهم ربما يجب عليه القتل، ويكون من كبرائهم فلا يجب الملك أن يقتله ظاهرًا فيأمره أن يقتل نفسه فينصرف إلى منزله ويقتل نفسه، وعن وفاة "الخاقان" الكبير ودفنه لم يمر بقبره أحد إلا ترَّجل وسجد، ولا يركب ما لم يغب عن قبره، هذه مظاهر تقديس الخزر لملكهم.

أما عن رسم يهود الخزر فى القضاء، فيقول "الاصطخرى": "وللملك سبعة من الحكام من اليهود والنصارى والمسلمين وأهل الأوثان، وإذا عرض للناس حكومة قضى فيها هؤلاء، ولا يصل أهل الحوائج إلى الملك نفسه، وإنما يصل إلى هؤلاء الحكام، وبين هؤلاء الحكام يوم القضاء، وبين الملك سفير براسلونة فيما يجرى من الأمر وينتهون إليه فيرد عليهم أمره ويمضونه".

ويقول "المسعودى" ورسم مملكة الخزر لأن يكون فيها قضاة سبعة: اثنان منهم للمسلمين، واثنان للخزر يحكمان بحكم التوراة، واثنان لمن بها من النصرانية يحكمان بحكم النصرانية، وواحد للصقالبة والروس، وسائر الجاهلية يحكم بأحكام الجاهلية، وهى قضايا عقلية، فإن ورد عليهم ما لا علم لهم به من النوازل العظام اجتمعوا إلى قضاة المسلمين فتحاكموا إليهم وانقادوا إلي ما توجبه شريعة الإسلام.

ومن رسم ملك الخزر فى حياته الخاصة، أن يكون له خمس وعشرين امرأة، كل امرأة منهن ابنة ملك من الملوك الذين يحاذونه، يأخذها طوعًا أو كرهًا، وله من الجوارى السرارى لفراشه ستون ما منهن إلا فائقة الجمال، وكل واحدة من الحرائر والسرارى فى قصر مفرد لها فيه مغشاة بالساج، وحول كل قبة مضرب، ولكل واحدة منهن خادم يحجبها، فإذا أراد أن يطأ بعضهن بعث إلى الخادم الذى يحجبها فيوافى بها فى أسرع من لمح البصر حتى يجعلها فى فراشه، ويقف الخادم على باب قبة الملك، فإذا وطئها أخذ بيدها وانصرف ولم يتركها بعد ذلك لحظة واحدة.

ب- قيادة الجيوش:

ومن رسوم الخزر فى قيادة جيوشهم، يقول "ابن رستة": "قد وظف ملكهم إيشا على أهل القوة واليسار، منهم فرسانًا على قدر أموالهم واتساع أصولهم فى المعاش، وهم يغزون البجناكية فى كل سنة و"إيشا" هذا يتولى

الخروج بنفسه، ويخرج فى مغازيه بعساكره، وإذا خرجوا فى وجه من الوجوه خرجوا بأسلحة تامة محلاة وأعلام وطرادات وجواشن محكمة، وركوبه فى عشرة آلاف فارس، ممن هو مرتبط أجرى عليهم، وفيهم من قد وظف على الأغنياء، وإذا خرج لوجه من الوجوه هيئ بين يديه مثل شمعة وربما شعلة، على صنعة الدف يحمله فارس يسير به أمامه، فهو يسير وعسكره خلفه يبصرون ضوء تلك الشمعة، فإذا غنموا جمعوا تلك الغنائم كلها فى معسكره، ثم اختار "إيشا" منهم ما أحب، وأخذه لنفسه، وأطلق لهم باقى الغنيمة ليقتسموها بينهم.

ومن رسمهم فى الناحية العسكرية يقول "الاصطخرى": "وللملك من الجيش اثنا عشر ألف رجل، وإذا مات منهم رجل أقيم آخر فى مكانه"، ويقول: "ابن فضلان": "خاقان به هو الذى يقود الجيوش ويسوسها، ويدبر أمر المملكة ويقوم بها، ويظهر ويغزو، وله تذعن الملوك الذين يصاقبونه، وإذا بعث خاقان الخزر سرية لم تولِّ الدبر بوجه ولا سبب، فإن انهزمت قتل كل من ينصرف إليه منها، فأما القواد وخليفته فمتى انهزموا أحضرهم وأحضر نساءهم وأولادهم فوهبهم بحضرتهم لغيرهم، وهم ينظرون. وكذلك دوابهم ومتاعهم وسلاحهم ودورهم، وربما قطع كل واحد منهم قطعتين وصلبهم، وربما علقهم بأعناقهم فى الشجر، وربما جعلهم إذا أحسن إليهم ساسه.

ويقول "المسعودى": "متى كان لملك الخزر حرب مع المسلمين، وقف المسلمون فى عسكره منفردين عن غيرهم؛ لا يحاربون أهل ملتهم

ويحاربون معه سائر الناس من الكفار. ويركب منهم مع الملك فى هذا الوقت شخوص، منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخوز، ومنهم رامحة أيضًا على حسب ما فى المسلمين من آلات السلاح".

ويقول "ابن حوقل": "ويقال إن جميع جيش خزران اثنا عشر ألفًا مثبتين بالراتب، إذا مات منهم رجل أقيم مكانه غيره".

ويقول "الكرديزى": "يذهب الخزر كل عام إلى ولاية بجناك للغزو، ويجلبون من هناك المال والسبايا، ويأخذ الشاد خراجه ويوزع على الجيش، ولهم أثناء غزو البرداس الأعلام والطرادات والجواشن المحكمة والمعارك الضارية. وحينما يركب ملك الخزر يركب معه عشرة آلاف فارس بعدتهم وآلاتهم، بعضهم يأخذ الرواتب وبعضهم يأخذ مما يوضع على الأغنياء من أموال وصدقات، وحينما يذهبون إلى الغزو يتركون جيشًا كثيفًا فى ديارهم، حتى يرعوا الأبناء والذخيرة. ولهم طلائع تتقدم الجيش، كما تتقدم الملك الشموع والنفاطات التى صنعت من الشمع حتى يسير على نورها مع الجيش. وحينما يغنمون فإنهم يجتمعون جميعًا فى المعسكر ثم يأخذ قائدهم لنفسه كل ما يريد من تلك الغنائم، ثم يقسم الباقى بين الجيش، ويأمر قائدهم أن يحمل كل جندى دبوسًا له رأس حادة مقداره ثلاثة أذرع، وحينما ينزلون بغرسون تلك الدبابيس حولهم، ويعلقون على كل دبوس درعًا، وبذلك يصنعون ما يشبه السور للمعسكر، ولو أراد عدو أن يباغتهم ليلاً ويقيم معهم معركة، فإنه لا يستطيع لأن المعسكر بتلك الدبابيس المدرعة يعد كأنه الحصن.

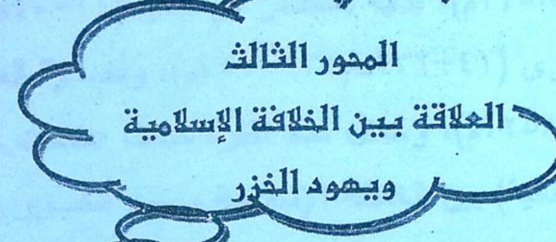
ج- ومن رسم الخزر فى دفن ملكهم:

قال "ابن فضلان": "ورسم الملك الأكبر إذا مات أن يبنى له دار كبيرة فيها عشرون بيتًا، ويحفر له فى كل بيت منها قبر، وتكسر الحجارة حتى تصير مثل الكحل، وتفرش فيه وتطرح النورة فوق ذلك، وتحت الدار نهر كبير يجرى، ويجعلون النهر فوق القبر، ويقولون: حتى لا يصل إليه شيطان ولا إنسان ولا دود ولا هوام، وإذا دفن ضربت أعناق الذين يدفنونه حتى لا يدرى أين قبره من تلك البيوت، ويسمى قبره الجنة، ويقولون: قد دخل الجنة وتفرش البيوت كلها بالديباج المنسوج بالذهب".

د- عادة حرق الموتى:

ويقول "المسعودى": "وإن ماتت المرأة لم يحرق الرجل، وإذا مات منهم أعزب زوج بعد وفاته، والنساء يرغبن فى تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة، وهذا فعل من أفعال الهند، إلا أن الهند ليس من شأنها أن تحرق المرأة مع زوجها، إلا أن ترى ذلك المرأة".

وهكذا أوضحت الدراسة فى الجانب الاجتماعى أصل الخزر التركى، الذين ينسبون إلى يافث وليس إلى سام بن نوح (عليه السلام). كما أوضحت غربتهم فى إسرائيل كغربة الأنبياء السابقين لليهود، وكذلك أوضحت الدراسة عدم نقاء الجنس اليهودى، كما ألقت ضوءًا على رسوم الخزر؛ لتنتقل بعد ذلك إلى الوقوف على العلاقات المتعددة بين المسلمين والخزر.

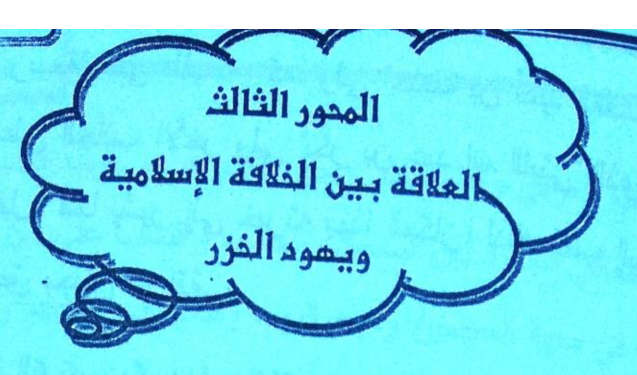


أولاً- العلاقات الإسلامية الخزرية خلال العصر الراشدى.

ثانيًا- العلاقات الإسلامية الخزرية فى العصر الأموى.

ثالثًا- العلاقات الإسلامية الخزرية فى العصر العباسى.

رابعًا- انهيار دولة يهود الخزر عام ٣٥٤هـ/٩٦٥م.



ستة قرون ونصف تقريبًا كان عمر الخلافة الإسلامية (١١-٦٥٦هـ/٦٣٣-١٢٥٨م)، بداية بالعصر الراشدى (١١-٤٠هـ/٦٣٣-٦٦٣م)، مرورًا بالأموى (٤١-١٣٢هـ/٦٣٤-٧٥٠م)، وأخيرًا العباسى (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م)، وخلال هذه الفترة حدثت علاقات متعددة (سياسية، واجتماعية، وثقافية) بين الخلافة الإسلامية ويهود الخزر تكشف عنها الدراسة التالية:

أولاً- العلاقات الإسلامية الخزرية خلال العصر الراشدى:

حظيت منطقة جبال القوقاز وبحر قزوين، وبصفة أخص ممر داريل Dariel (المعروف حاليًا باسم ممر كازيك)، والطريق الجانبى عبر ممر "دربند" الضيق على ساحل بحر قزوين. بعناية المسلمين منذ بداية الخلافة الراشدة. فيذكر "الطبرى" أنه فى عام (٢٢هـ/٦٤٢م) أرسل الخليفة "عمر بن الخطاب" (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م) كوكبة من القادة إلى منطقة "باب الأبواب"، فرد "سراقة بين عمرو" إلى تلك المنطقة لأهميتها، وجعل "عبد

الرحمن بن ربيعة" على طليعته، كما ولى "حذيفة بن أسيد الغفارى" أحد الأجناب، وعلى الجانب الآخر ولى "بكر بن عبد الله الليثى" الذى كان بإزاء "الباب" من قبل، مما يشير إلى خبرته بهذا المكان؛ لذلك كتب إليه الخليفة "عمر" أن يلحق بجيش سراقة.

وبهذا الترتيب يكون "سراقة" هو القائد العام، فمارس مهمته بإرسال "عبد الرحمن بن ربيعة" أمامه، ثم خرج هو فى أثره، والتقى "ببكر بن عبد الله" على مقربة من الباب، فتوغل فى تلك المنطقة، وعند ذاك قام الخليفة "عمر بن الخطاب" بإرسال "حبيب بن مسلمة" مددًا له من الجزيرة.

وما أن اقترب "عبد الرحمن بن ربيعة" من باب الأبواب حتى كاتبه ملكها "شهر براز" مستأمنًا إياه لكى يأتيه، فالتقى به فقال له: "إنى بإزاء عدوٍ كلب وأمم مختلفة، لا يُنسبون إلى أحساب، وليس ينبغى لذى الحسب والعقل أن يعين أمثال هؤلاء، ولا يستعين بهم على ذوى الأحساب والأصول، وذو الحسب قريب ذى الحسب حيث كان، ولست من القبج فى شئ ولا من الأرمن، وإنكم قد غلبتم على بلادى وأمتى، فأنا اليوم منكم ويدى مع أيديكم وصفوى معكم، وبارك الله لنا ولكم، وجزيتنا إليكم النصر لكم، والقيام بما تحبون، فلا تذلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم".

وهكذا أوضح ملك "باب الأبواب" سياسته الرامية إلى محاولة كسب ود المسلمين، واستعدائهم على الخزر وغيرهم من أعداء هذا الملك، كما

لمس الجانب العرقى والاجتماعى، حين تكلم عن وجوب التقاء وجهات النظر، وتضافر الجهود بين أصحاب الحسب والنسب على من هم دونهم فى ذلك، وأنه فى معية المسلمين وميله إليهم، وقتاله إلى جانبهم وجزيته النصر لهم، محذرًا من الشدة فى طلب الجزية، حتى لا يصابوا بالوهن فى مواجهة عدو المسلمين ربما "الخزر" وغيرهم؛ لأنه فى قوته يعتبر حاجزًا يمنع الخطر عن المسلمين وفى ضعفه يكون العكس.

وعندما سمع "عبد الرحمن بن ربيعة" كلام الملك، رد عليه قائلاً: "فوقى رجل قد أظلك فسر إليه فجوزه، فسار إلى "سراقة" فلقيه بمثل ذلك"، فقال سراقة: قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا ما دام عليه، ولابد من الجزاء ممن يقيم ولا ينهض. فقبل ذلك، وصار سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين، وفيمن لم يكن عنده الجزاء، إلا أن يُستنفروا فتوضع عنهم جزاء تلك السنة، وكتب سراقة إلى عمر بن الخطاب بذلك، فأجازه وحسنه.

وهكذا أعطى كل من "عبد الرحمن بن ربيعة"، و"سراقة" درسًا فى أخلاق القيادة العسكرية، فعبد الرحمن لم يُرد أن يقطع برأى دون الرجوع إلى قائده سراقة، وسراقة يوافق على ما أنجزه عبد الرحمن، مع تعديل بشأن الجزية، فتؤخذ على من أقام ولم يشترك فى القتال إلى جانب المسلمين، فقبل الملك ذلك وأصبحت سنة، وأن الجزية تسقط عمن استنفروا للقتال فى نفس السنة، فكتب "سراقة" إلى الخليفة "عمر" بذلك فأجازه واستحسنه. مما يدل على تطور فكر "عمر بن الخطاب" حسب مقتضيات الأمور.

ثم كتب "سراقة" عهدًا "لشهر براز" جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى "سراقة بن عمرو" عامل أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب"، شهر براز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وملتهم ألا يضارّوا ولا ينتقضوا، وعلى أهل أرمينية والأبواب الطرّاء منهم والتُنّاء ومن حولهم، فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة، وينفذُوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالى صلاحًا، على أن توضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك إلا الحشر، والحشر عوض من جزائهم ومن استُغنى عنه منهم وقعد، فعليه مثل ما على أهل آذربيجان من الجزاء والدلالة والنُزل يومًا كاملاً، فإن حشروا وضع ذلك عنهم، وإن تركوا أخذوا به. شهد "عبد الرحمن بين ربيعة، وسلمان بين ربيعة، وبكير بن عبد الله، وكتب مرضى بن مقرون وشهر".

ومن خلال كلمات الأمان يتضح مدى علو كعب المسلمين على أهالى تلك البلاد المقيمين منهم والأهالى، وعلى منطقة آذربيجان، وكلها على مقربة من أرض الخزر. مما يدل على وصول النفوذ الإسلامى إلى شواطئ بحر قزوين.

ومما يدل على ذلك قيام "سراقة بن عمرو" بتوجيه "بكير بن عبد الله، وحبيب بن مسلمة، وحذيفة بن أسيد، وسلمان بن ربيعة" إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية، فوجه بكيرًا إلى موقان، ووجه حبيبًا إلى تفليس، وحذيفة بن أسيد إلى من بجبال اللان، وسلمان بن ربيعة إلى الوجه الآخر،

فأتى "عمر" أمر لم يكن يرى أنه يسنح له على ما خرج عليه فى سريح بغير مؤنة، وكان مزجًا عظيمًا به جند عظيم، إنما ينتظر أهل فارس صنيعهم، ثم يضعون الحرب أو يبعثونها. وقد قال "سراقة" ابتهاجًا بهذا النصر:

وكتب سراقة بالفتح، وبالذى وجه فيه هؤلاء النفر إلى عمر بن الخطـاب،

ومن يك ســائلاً عنى فإنى ... بأرض لا يؤاتيها القـرار

بباب الترك ذى الأبواب دار ... لها فى كل ناحية معَــار

نزود جموعهم عما حوينـا ... ونقتلهم إذا باح الســرَّار

سددنا كل فرج كان فيهـا ... مكابرة إذا سطع الغبـــار

وألحمنا الجبال جبـال قبج ... وجاور دورهم منا ديـار

وبادرنا العدو بكل فــجّ ... نناهبهم وقد طار الشـرار

على خيل تعادى كل يـوم ... عتادًا ليس يتبعها المهـار

وهكذا نالت تلك البلاد اهتمام المسلمين وعنايتهم، حتى أن "عمر بن الخطاب" لم يتوقع وصول المسلمين إليها بهذه السرعة، ومما يدل على مدى ما تلعبه هذه البلاد من دور مهم، هو مدى تأثيرها فى الصراع بين المسلمين والفرس، بدليل أن الفرس كانوا ينتظرون نتيجة الغزوة الإسلامية حتى يبنوا عليها قرارهم للحرب أو السلام، وقد أكد "ابن الأثير" أهمية هذا الثغر حين قال: "فأتى عمر أمر لم يظن أن يستتم له بغير مؤونة؛ لأنه فرج عظيم".

وقد أكد "الطبرى" أن "بكير بن عبد الله الليثى" أحرز نجاحًا ملموسًا على أهل موقان بجبال القبج، ووقع لهم أمانًا جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى بكير بن عبد الله أهل موقان من جبال القبج الأمان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجزاء، دينار على كل حالم أو قيمته، والنصح ... فلهم الأمان ما أقروا ونصحوا، وعلينا الوفاء والله المستعان، فإن تركوا ذلك واستبان منهم غش، فلا أمان لهم إلا أن يسلموا الغششة برمتهم، وإلا فهم ممالئون، شهر الشماخ بن ضرار والرسارس بن جنادب وحملة بن جويه، وكتب سنة إحدى وعشرين".

ومما يؤكد عناية الخليفة "عمر بن الخطاب" لهذا الثغر متابعته لما يجرى هناك، فيذكر "ابن الأثير" أنه "لما بلغ "عمر" موت "سراقة"، واستخلاف "عبد الرحمن بن ربيعة" أقر عبد الرحمن على فرج الباب، وأمره بغزو الترك". وبالطبع يقصد "ابن الأثير" بالترك "الخزر" الذين يتمركزون خلف هذا الباب.

✍ عبد الرحمن بن ربيعة يغزو الخزر:

بعد استخلافه على الباب أمره "عمر بن الخطاب" بغزو الترك، فخرج "عبد الرحمن" بالناس حتى قطع الباب، فقال له: "شهر بزار" ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد بلنجر، قال: إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب، قال: لكنا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم فى ديارهم، وبالله إنا معنا أقوامًا لو يأذن لهم

أميرنا فى الإمعان لبلغت بهم الروم، قال: وما هم؟ قال: أقوام صحبوا رسول الله (ﷺ)، ودخلوا فى الأمر بنية (كانوا أصحاب حياء وتكرم فى الجاهلية فازداد حياؤهم وتكرمهم)، ولا يزال هذا الأمر لهم دائمًا، ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم، وحتى يلفتوا عن حالهم، فغزا بلنجر غزاة فى زمن "عمر" لم تئم فيها امرأة، ولم ييتم فيها صبى، وبلغ خيله فى غزاتها البيضاء على رأس مائتى فرسخ من بلنجر، ثم غزا فسلم وعاد". وهكذا حاول "عبد الرحمن" أن يصل إلى بلنجر عاصمة بلاد الخزر وقتذاك، ثم واصل زحفه حتى بلغ مدينة البيضاء على مسافة مائتى فرسخ من بلنجر.

ويصور "ابن الأثير" الصراع الذى دار بين "عبد الرحمن بن ربيعة" والترك، فيقول: "قاتل عبد الرحمن حتى قتل، وانكشف أصحابه وأخذ الراية أخوه سلمان، فقاتل ثم خرج بالناس إلى جيلان، ومنها إلى جرجان، واجترأ الترك بعدها، ولم يمنعهم ذلك من اتخاذ جسد "عبد الرحمن" فهم يستسقون به إلى الآن". أى زمن كتابة هذا الكلام على لسان "ابن الأثير".

وهكذا شهد عهد الخليفة "عمر بن الخطاب" عناية واهتمامًا بالغين بمنطقة "باب الأبواب" ثغر بلاد الخزر، ووصلت قواته إلى مدينتى "بلنجر والبيضاء"، وهما من المدن المهمة هناك؛ ليفتح بذلك الباب أمام القوات الإسلامية فى عهد الخليفة "عثمان بن عفان" (٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٣-٦٥٥م) للدخول إلى تلك البلاد.

فيذكر "البلاذرى" أنه لما استخلف "عثمان بن عفان" كتب إلى "معاوية" عامله على الشام والجزيرة وثغورها، يأمره أن يوجه "حبيب بن مسلمة الفهرى" إلى أرمينية، وكان حبيب ذا أثر جميل فى فتوح الشام وغزو الروم، قد علم ذلك منه "عمر" ثم "عثمان"، ويقال: بل كتب عثمان إلى "حبيب" يأمره بغزو أرمينية وذلك أثبت، فنهض إليهما فى ستة آلاف، ويقال فى ثمانية آلاف من أهل الشام والجزيرة، فأتى "قاليقلا" فأناخ عليها وخرج إليه أهلها، فقاتلهم ثم ألجأهم إلى المدينة، فطلبوا الأمان على الجلاء والجزية، فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم، وأقام "حبيب بن مسلمة" بها فيمن معه أشهر، ثم بلغه أن بطريق "أرمنيا قس" قد جمع للمسلمين جمعًا عظيمًا، وانضمت إليه أمراء أهل اللان وأنجاز وسمندر من الخزر.

ويستفاد من هذا أن الخليفة "عثمان بن عفان" سار على درب الخليفة "عمر بن الخطاب"، فى عنايته ببلاد الخزر لموقعها الحساس، فوجه "حبيب بن مسلمة" لغزو أرمينية المجاورة لبلاد الخزر، على رأس جيش من الشام، وبعد أن دخل "قاليقلا" وأمن أهلها نما إلى علمه، أن "أرمنيا قس الإمبراطور البيزنطى"، قد اتفق مع بعض أهل الخزر ضد المسلمين، وعلى ذلك فإن الخزر قد أعلنوا الحرب ضد المسلمين ولو بطريق غير مباشر.

وعندئذ كتب "حبيب" إلى "معاوية" يطلب مدده لمواجهة هذا العدوان، فأمده معاوية بألفى رجل من أهل الشام والجزيرة، فأسكنهم "قاليقلا" وأقطعهم بها، وجعلهم مرابطة بها. ولما ورد "عثمان" كتاب "حبيب" كتب إلى "سعيد

بن العاص بن أمية" عامله على الكوفة يأمره بإمداد "حبيب" بجيش يقوده "سلمان بن ربيعة الباهلى" وهو "سلمان الخيل"، وكان غزاءً فسار "سلمان الخيل" إليه فى ستة آلاف رجل من أهل الكوفة، وقد أقبلت الروم ومن معها فنزلوا على الفرات، وقد أبطأ على "حبيب" المدد فبيتهم المسلمون فاجتاحوهم وقتلوا عظيمهم، وقالت "أم عبد الله بنت يزيد الكلبية" امرأة "حبيب" ليلتئذ له أين موعدك؟ قال: سرادق الطاغية أو الجنة. فلما انتهى إلى السرادق وجدها عنده، قالوا: ثم إنَّ "سلمان" ورد وقد فرغ المسلمون من عدوهم. فطلب أهل الكوفة إليهم أن يشركوهم فى الغنيمة فلم يفعلوا حتى تغالط حبيب وسلمان فى القول، وتوعد بعض المسلمين سلمان بالقتل، قال الشاعر:

إن تقتلوا سلمان نقتل حبيبكم ... وإن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل

وهكذا قاد حبيب وسلمان المسلمين ضد بعض الخزر والبيزنطيين، وبعد إحراز النصر يذكر "البلاذرى" خلافًا نشب بين "حبيب وسلمان"، أو بالأحرى خلافًا بين أهل الشام وأهل الكوفة، حتى توعد شاعر من الكوفة حبيبًا بالقتل من أجل توزيع الغنائم. وما إن وصل الخبر إلى الخليفة "عثمان" حتى أنهى المشكلة على الفور، بأن وجه الغنائم لأهل الشام، ثم أمر سلمان بالزحف إلى الران. أى وجه نظر المتشاحنين إلى ما هو أكبر من الغنائم وهو إعلاء كلمة الإسلام فى تلك البلاد.

وبالفعل توجه "حبيب" عام (٢٥هـ) إلى بلدة "مكس" من بلدان "البسفرجان" فقاطع صاحبها على بلاده، ثم اتجه إلى "أزد شاط" وهى قرية "القرمز" الذى يُصبغ به، فنزل على نهر دبيل، وهناك سرح الخيول فحصرها؛ لكن أهلها تحصنوا فنصب عليهم منجنيقًا، فطلبوا الأمان فأمنهم، بعد ذلك بث سراياه حتى "ذات اللجم" وسميت بذلك لأن المسلمين أخذوا لجم خيولهم فأغار البيزنطيون عليهم قبل أن يلجموا خيولهم، ثم ألجموها وقاتلوهم وظفروا بهم، أعقب ذلك توجيه سرية إلى "سراج طير وبغروند" فصالحه أهلها على إتاوة، وقدم عليه بطريق البسفرجان فصالحه على جميع بلاده، وأتى "السيسجان" فحاربه أهلها فهزمهم، وغلب على حصونهم، وسار إلى "جرزان" فأتاه رسول بطريقها يطلب الصلح فصالحه، واتجه إلى "تفليس" فصالحه أهلها، وافتتح عدة حصون ومدن على مقربة منها صلحًا.

بيد أن "سلمان بن ربيعة الباهلى" فى نفس العام اتجه إلى "أران" ففتح "البيلقان" صلحًا على أن أمنهم على دمائهم وأموالهم ومبانى بلدهم، واشترط عليهم الجزية والخراج، ثم اتجه "سلمان" إلى مدينة برذعة فعسكر بقواته على نهر "الثرثور" الذى يبعد عن المدينة بفرسخ "حوالى ستة كيلو مترات وربع"، واشتبك مع أهلها عدة أيام، وقام بشن الغارات على أهلها فى قراها فصالحوه على مثل صلح البيلقان، فدخلها ووجه خيله وافتتح معظم رساتيقها.

ويذكر "ابن الأثير" أنه دعا أكراد "البلاشجان" إلى الإسلام فقاتلوه، فظفر بهم فأقر بعضهم على الجزية، وأدى بعضهم الصدقة وهم قليل، ووجه

سرية إلى شمكور ففتحوها، وهى مدينة قديمة ولم تزل معمورة حتى أخربها "السناوردية" - عند البلاذرى الساوردية - وهم قوم تجمعوا عند انصراف "يزيد بن آسيد" عن أرمينية، فعظم أمرهم فعمرها "بغا" أحد قادة الترك عام مائتين وأربعين، وسماها "المتوكلية" نسبة للمتوكل العباسى (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٧-٨٦١م)، وسار "سلمان" بعد ذلك إلى مجمع "الرس والكر" ففتح "قبله" وصالحه صاحب "سكر" وغيرها على إتاوة، وصالحه ملك شروان وسائر ملوك الجبال وأهل مسقط، والشابران ومدينة باب الأبواب.

كان طبيعيًا أن يحدث "صدامًا بين سلمان بن ربيعة، وخاقان الخزر" بعد هذا الجهد الملحوظ من "سلمان" فى تلك البلاد، فالتقيا خلف نهر البلنجر، واشتدت وطأة القتال بين الطرفين، واستشهد "سلمان" فى هذه الموقعة مع جمع من المسلمين، وكان "سلمان" حقًا من المحاربين الأكفاء حتى قارنه ابن جمانة بقتيبة بن مسلم الباهلى، فقال:

وإن لنا قبرين قبر بلنجر .'. قبر بصين استان يالك من قبر

فذاك الذى بالصين عمت فتوحه .'. وهذا الذى يسقى به سبل القطر

وهكذا رأينا كيف تعددت العلاقات بين المسلمين فى العصر الراشدى والخزر على مناطق الحدود. مما يؤكد أهمية هذا المكان الذى راح ضحيته بعض القادة "كسلمان بن ربيعة" على سبيل المثال، ولم تتوقف العلاقات بل واصلت طريقها فى العصر الأموى.

ثانيًا- العلاقات الإسلامية الخزرية فى العصر الأموى:

امتد حكم الدولة الأموية لأكثر من تسعين عامًا (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م) تعددت خلالها العلاقات الإسلامية الخزرية، فها هو أول الخلفاء الأمويين "معاوية بن أبى سفيان" (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩م)، يولى "عبد الله بن حاتم بن النعمان بن عمرو الباهلى" أمر "أرمينية" لأهميتها الخاصة؛ لكونها على مقربة من بلاد "الخزر"، وإثر وفاته خلفه أخوه "عبد العزيز" فبنى مدينة "دبيل" وحصنها، كما بنى مدينة "النشوى" بالإضافة إلى تجديده بناء مدينتى "برذعة، والبيلقان".

وفى عام (٧٣هـ/٦٩٢م) فى عهد الخليفة "عبد الملك بن مروان" (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) تولى أمر الجزيرة وأرمينية أخاه "محمد بن مروان" فقام بغزو أرمينية، ووصل إلى بحيرة "الطريخ"، وقد كانت مشاعًا. فضبط شئونها،وأصبح سمكها يباع لصالحه، ثم صارت من بعده لابنه "مروان"، وصارت سنة إلى أن تغير الأمر فيما بعد.

وفى عام (٩١هـ/٧٠٩م) فى عهد الخليفة "الوليد بن عبد الملك" (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) غزا "مسلمة بن عبد الملك" الترك حتى بلغ "الباب" من ناحية آذربيجان، ففتح حصونها ومدنًا هناك، ثم تولى أمر أرمينية بعد ذلك "عدى بن عدى بن عميرة الكندى" فى عهد كل من

الخليفتين "سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/٧١٤-٧١٧م) وعمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م)"، وهو صاحب نهر "عدى بالبيلقان".

وهكذا أولت الدولة الأموية عنايتها ببلاد الخزر استكمالاً لما قامت به الخلافة الراشدة من غزو لأرمينية ومنطقة باب الأبواب، استعدادًا للدخول إلى بلاد الخزر، وفى المقابل بدأ الخزر يردون على هذه الغزوات، فكان صراعًا عنيفًا فى عام (١٠٤هـ/٧٢٢م) يُعد تطورًا فى موقف العلاقات بين الطرفين.

ففى العام المذكور دخل جيش للمسلمين بقيادة "ثبيت النهرى" من ناحية "أرمينية"، فاجتمعت "الخزر" وأعانهم "القفجاق" وغيرهم من الترك، والتقوا بالمسلمين فى مكان يعرف "مرج الحجارة" فاقتتلوا قتالاً شديدًا، واستشهد فى هذه المعركة الكثير من المسلمين، وعلت يد "الخزر" لأول مرة فى تاريخ الصراع المباشر وغير المباشر، وغنموا وعاد المسلمون إلى بلاد الشام، فعنفهم الخليفة "يزيد بن عبد الملك" (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م) على الهزيمة، وحاول "ثبيت" تبرير الموقف لكن "يزيد" لم يقبل منه ذلك، فعين "الجراح بن عبد الله الحكمى" بدلاً منه على أرمينية، وهى القاعدة التى تتحرك منها القوات الإسلامية تجاه الخزر وغيرها.

بيد أن هذا الانتصار قد أغلى من نفوذ الخزر؛ لكن "الجراح" أنيط به غزو الخزر، وإعادة الأمور إلى نصابها. فسار على رأس قواته حتى جاء

"برذعة" على نهر "الكر" وأقام بها بعض الوقت، ثم اتجه نحو "الخزر" فعبر ذلك النهر، وعندئذ نما إلى علمه معرفة ملك الخزر بتحركه من أهالى البلاد، فعمد إلى حيلة مؤداها التموية عليه، بإعلام الناس أنه مقيم فى مكانه. طالبًا منهم توفير المؤن، ثم طلب من مناديه إعلام ملك "الخزر" بذلك، وحثه على عدم التحرك حتى لا يكون وجنده هدفًا وصيدًا سهلاً للمسلمين.

وما إن أقبل الليل حتى أمر "الحجاج" جنده بتعجيل التحرك، فوصلوا إلى مدينة "الباب" فلم يجد هناك "الخزر"، وعلى الفور بث جنده وسراياه لتغزو وتحقق هدفها، بل وتؤثر على معنويات ملك "الخزر" فغزوا وغنموا كثيرًا؛ لكن ملك "الخزر" لم يقف مكتوف الأيد، بل جمع الجيوش بقيادة ابنه وأرسلها تجاه المسلمين، فالتقوا على نهر "الرس" فاقتتلوا قتالاً شديدًا، وانجلى الموقف عن انتصار المسلمين بقيادة "الجراح" وجمعهم للعديد من الغنائم، وسار "الجراح" متجهًا إلى حصن "الحصين" فنزله وأجلى أهله عنه، ثم اتجه إلى مدينة "برغوا" فأقام عليها ستة أيام حتى طلب أهلها الصلح والأمان، فأمنهم وتسلم حصونهم.

الجراح والاستيلاء على حصن بلنجر:

اتجه "الجراح" إلى حصن "بلنجر" المشهور على مقربة من نهر "إتيل" فنازل أهله، وعندئذ جمعوا له ثلاثمائة "عجلة" حربية وشدوها إلى بعضها البعض، ونشروها حول حصنهم لحمايتهم ومنع تقدم المسلمين، وحينما رأى

المسلمون ذلك اندفع من بينهم حوالى ثلاثون رجلاً تعاهدوا على الاستشهاد فى سبيل الله، وتقدموا نحو العجل المترابط، وحملوا عليه حملة رجل واحد، وجدّ الخزر فى منعهم ورموهم بكم كبيرٍ من النشاب، إلا أن ذلك لم يفت فى عضد المسلمين، فواصلوا زحفهم نحو "العجل" حتى تعلقوا به ونجحوا فى قطع بعض الحبال التى تربط بينه، فانحدر "العجل" تباعًا تجاه المسلمين، وعلى أثره تقدم المسلمون واشتبكوا مع الخزر الذين حاقت بهم هزيمة قاسية، وسقط على إثرها الحصن بأيدى المسلمين وغنموا كل ما فيه.

وبعد هذا النصر، حاول "الجراح" احتواء صاحب "بلنجر" ليكون عينًا له، فقام برد أمواله وأهله وحصنه إليه، وسار متجهًا إلى حصن "الويندر" ولعله "سمندر"، وكان به نحو أربعين ألف بيت من الترك، فصالحهم على مال يؤدونه له. ولكن فى تلك الأثناء تجمع أهالى البلاد من الخزر وغيرهم آخذين الطرق على المسلمين، فأعلم صاحب "بلنجر" الجراح بذلك، فعاد "الجراح" مسرعًا حتى وصل إلى رستاق "ملى" وكان الشتاء قد أدركهم فأقام المسلمون بهذا المكان، وكتب "الجراح" إلى "يزيد بن عبد الملك" يخبره بما تم له من فتح، ويطلب مدده لمواجهة تجمع "الخزر" فوعده "يزيد" بذلك؛ لكن المنية عاجلته قبل إرساله المدد للجراح.

بعد موت "يزيد" أصبح "هشام بن عبد الملك" (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٣-٧٤٢م) خليفة المسلمين، فأقر "الجراح" على عمله، ووعده بالمدد، وتقدم "الجراح" إلى "اللان" وراء بلنجر، وفتح العديد من المدائن والحصون.

✍ مسلمة بن عبد الملك والخزر:

وفى عام (١٠٧هـ/٧٢٣م) عزل الخليفة "هشام بـن عبـد الملـك، "الجراح" عن أرمينية وآذربيجان، واستعمل عليها أخاه "مـسلمة بـن عبد الملك" فاستعمل عليهما "الحرث بن عمرو الطائى" الذى فتح العديد من بلاد ورسانيق الترك، وفى عام (١٠٩هـ/٧٢٧م) عاد مسلمة لغـزو "آذربيجـان" فسبى وغنم ورجع إلى الشام، وفى عام (١١٠هـ/٧٢٨م) غزا "مسلمة" الترك وباب اللان، فلقى "خاقان" فى جموعه فاقتتلوا حوالى شهرًا، وحينذاك ألم بهم مطر شديد، فانهزم "خاقان"، وعاد "مسلمة"، وفى عام (١١١هـ/٧٢٩م) تقـدم الترك حتى "آذربيجان" فلقيهم "الحرث بن عمرو" فهزمهم.

✍ عودة "الجراح بن عبد الله" الحكمى ثانية لأرمينية عام (١١١هـ/٧٢٩م) وظهور الخزر:

شهد عام (١١١هـ/٧٢٩م) عودة "الجراح" إلى أرمينية وعزل "مسلمة ابن عبد الملك"، فدخل "الجراح" بلاد الخزر من ناحية "تفليس"، ففتح مـدينتهم "البيضاء" وانصرف مسالمًا، فتجمعت الخزر واحتشدت واستعدت للزحف إلى بلاد الإسلام، فهم لم ينسوا هزيمتهم الكبرى عام (١٠٤هـ)؛ لذلك ما إن دخـل "الجراح" أرض الخزر عام (١١٢هـ/٧٣٠م) حتى تجمعت الخـزر والتـرك واشتبكوا مع الجراح فى ناحية اللان، فاقتتلوا قتالاً أشد مما سبق راح ضحيته "الجراح" ومن كان معه من أهل الشام بمرج "أردبيل"، وكان الجراح قد ترك

على أرمينية أخاه "الحجاج بن عبد الله". وما أن استشهد الجراح حتى طمع الخزر فى المسلمين فأوغلوا فى البلاد الإسلامية حتى وصلوا على مقربة من مدينة الموصل على رواية "ابن الأثير"، وبذلك عظم الخطب على المسلمين، وقد أكد "البلاذرى" استشهاد الجراح بأرض "بلنجر" فنكر بعد حربه مع الخزر وافتتاحه العديد من البلدان، مثل: خيزان، وغوميك، وشكى، والبيلقان، وغيرها. حارب "الخزر" فى صحراء "ورثان" وقد استشهد على نهر الرس الذى سمى بالجراح، كما نسب جسر عليه إليه أيضًا.

ولما بلغ الخليفة "هشام بن عبد الملك" استشهاد الجراح ولى "سعيد الحرشى" أمر "أرمينية"، فسار إلى "خلاط"، ثم "برذعة"، وكان "ابن خاقان" يومئذ بأذربيجان يغير وينهب ويسبى ويقتل، وهو محاصر مدينة "ورثان" فخاف "الحرشى" أن تسقط "ورثان" فى يده، فأرسل بعض أصحابه إلى أهل "ورثان" سرًا يعلمهم بوصولهم، ويطالبهم بالتحلى بالصبر، فاتجه إليهم المنوط بتبليغهم؛ لكنه وقع فى أيدى الخزر، فسألوه عن وجهته فاعترف بمهمته، وعندئذ طلبوا منه مقابل منحه الحرية أن يؤثر على معنويات أهل "ورثان" بأنه لا معين ولا سند لهم، وعليهم تسليم المدينة إلى "الخزر"، فذهب المبعوث مغتنمًا الفرصة، وأعلم أهل "ورثان" بتواجد "سعيد الحرشى" بقواته على مقربة منهم، وطالبهم بالصبر وحفظ البلد، فرفع أهل ورثان أصواتهم بالتكبير، وراح هذا الرجل ضحية الموقف إذ قتله "الخزر" الذين رحلوا عن مدينة "ورثان"، بينما جاءها "الحرشى" الذى لم يجد "الخزر" فغادرها إلى

"أردبيل" التى تركها "الخزر" أيضًا فتعقبهم "الحرشى" إلى "باجروان"، وعندئذ أعلمه أحد الفرسان أن الخزر قد تجمعوا فى عشرة آلاف ومعهم خمسة آلاف من المسلمين أسارى وسبايا على مسافة أربعة فراسخ (أى حوالى خمسة وعشرين كيلو متر)، فسار "الحرشى" فى اتجاههم ليلاً وانقض عليهم مع الفجر فقتلهم واستنقذ المسلمين منهم، وأخذهم معه إلى "باجروان"، كما استنقذ حرم "الجراح" وأولادهم، وأكرمهم وحملهم معه إلى "باجروان".

ويبدو أن "باجروان" كانت قاعدة للانطلاق والعودة، فبعد أن وبخ "ابن ملك الخزر" جموعه على الهزيمة التى لاقوها على أيدى المسلمين، جمع أصحابه على مقربة من "آذربيجان" ووقع الصدام بينهم وبين "الحرشى"، فانتصر المسلمون وتبعوا الخزر إلى نهر الرس، ثم عادوا إلى "باجروان"؛ لكن "ابن ملك الخزر" لم يقنع بالهزيمة، فجمع جيوشه ثانية، وسار فى اتجاه "الحرشى" والتقى الطرفان على نهر "البيلقان"، وانتصر المسلمون وغرق الكثير والكثير فى هذا النهر من الخزر، وجمع "الحرشى" الغنائم وعاد إلى "باجروان"، وعندئذ أعلم الحرشى "هشام بن عبد الملك: بذلك فكتب إليه يشكره، ويأمره بالسير إليه، وفى الوقت نفسه عين أخاه "مسلمة بن عبد الملك" على أرمينية وآذربيجان، فوصل إليها عام (١١٣هـ/٧٣١م) ووزع جيوشه ببلاد خاقان، ففتحت مدائن وحصون عديدة، ودان له من وراء جبال بلنجر، وقتل ابن خاقان، بعد ذلك اتجه إلى باب الأبواب.

مروان بن محمد وقبول ملك الخزر الإسلام:

في عام (١٢٤هـ/٧٤٤م) استعمل "هشام بن عبد الملك" ابن عمه "مروان بن محمد" على أرمينية والجزيرة وآذربيجان خلفًا "لمسلمة بن عبد الملك"، فنزل "كسال" وبنى مدينتها، وهي من "برذعة"، ثم دخل أرض الخزر، مما يلي باب اللان، وكان معه "أسيد بن زافر السلمي" يرافقه ملوك الجبال من ناحية الباب والأبواب، فأغار مروان على صقالبة كانوا هناك، فسبى منهم حوالي عشرين ألف بيت، وأسكنهم "خاخيط" فقتلوا أميرهم وهربوا فلحقهم "مروان" وقتلهم، ولما بلغ عظيم الخزر ذلك جنحوا للمهادنة، فأرسل إليه "مروان" للإسلام، وأظهر ذلك موادعًا مروان على أن يقره في مملكته، وسار مروان يرافقه جمع من الخزر، حيث أنزلهم ما بين السمور والشابران في سهل أرض اللكز، ولم يكتف مروان بذلك بل ذهب إلى أرض السرير، وأوقع بأهلها الهزيمة، ودان له ملك السرير وأطاعه، فصالحه على ألف رأس، خمسمائة غلام وخمسمائة جارية سود الشعور والحواجب في كل سنة، وعلى مائة ألف مدى نصب في إهراء الباب، وصالح أهل "تومان" على مائة رأس، خمسين جارية وخمسين غلامًا سبيين سود الشعور والحواجب، ودخل "مروان" أرض زريكران، وأرض حمزين، وسدان، وطبر سرانشاه، ثم نزل قلعة اللكز وصالح أهلها، وولى عليها "خشرما السلمي" وسار "مروان" إلى قلعة "شروان" فأذعن له صاحبها بالطاعة، وطلب منه "مروان" أن يكون في مقدمته إذا حارب الخزر، وعلى الساقة إذا

رجعوا، وعلى "فيلانشاه" أن يغزو معهم فقط، وعلى "طبر سرانشاه" أن يكون فى الساقة إذا بدأوا، وفى المقدمة إذا رجعوا، وسار "مروان" إلى "الدودنية" فأوقع بأهلها، ثم ذهب إلى "أردبيل" ومنها إلى "ياجروان"، ثم ورثان، وأخيرًا البيلقان، ومنها ترك أرمينية موليًا عليها "إسحاق بن مسلم"، وذلك بالطبع بعد مقتل الوليد بن يزيد؛ لأنه كان سيلى أمر الدولة الأموية، إذ حكم عام (١٢٧هـ/٧٤٤م)، وحتى (١٣٢هـ/٧٤٩م).

وهكذا لعب "مروان بن محمد" دورًا كبيرًا فى العلاقات الإسلامية الخزرية فى العصر الأموى كنظيريه "الجراح بن عبد الله"، و"مسلمة بن عبد الملك" وغيرهما، إذ افتتحوا العديد من البلدان، ومكنوا للمسلمين فى تلك المنطقة المهمة والحساسة بين الشرق والغرب، مما دفع ملك الخزر إلى قبول الإسلام ولو بشكل ظاهرى.

ثالثًا- العلاقات الإسلامية الخزرية فى العصر العباسى:

حكم العباسيون الدولة الإسلامية أكثر من خمسة قرون (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م) كانت لهم فيها علاقات متباينة مع الخزر، وسوف نتوقف فى هذه العلاقات عند عام (٣٥٤هـ/٩٦٥م) عام انهيار دولة يهود الخزر على أيدى الروس.

ولقد استهل "أبو جعفر المنصور" هذه العلاقات بولايته على الجزيرة وأرمينية فى خلافة أخيه "أبى العباس عبد الله" (١٣٢-١٣٦هـ/٧٥٠-٧٥٣م) وعندما أصبح "أبو جعفر المنصور" (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٤٤م) خليفة للمسلمين ولى "يزيد بن أسيد السلمى" أرمينية، "فافتتح باب اللان، ورتب فيه رابطة من أهل الديوان، ودوخ الصناربة حتى أدوا الخراج، فكتب إليه "المنصور" يأمره بمصاهرة ملك الخزر ففعل. وولدت له ابنته منه ابنًا فمات وماتت فى نفاسها، وبعث يزيد إلى نفاطة أرض شروان وملاحاتها فجباها، ووكل به وبنى يزيد مدينة أرجيل الصغرى ومدينة أرجيل الكبرى وأنزلهما أهل فلسطين".

وهكذا بدأ العباسيون علاقاتهم بيهود الخزر فى الجانب الاجتماعى، حيث تزوج "يزيد بن أسيد السلمى" بأمر من الخليفة "أبى جعفر المنصور" بابنة ملك "الخزر"، وربما كان ذلك لهدوء الموقف فى تلك المنطقة الحيوية، كما جاء توطين الفلسطينيين فى كل من أرجيل الكبرى والصغرى، تأكيدًا للعلاقات فى الجانب الاجتماعى.

ونالت أرمينية بحكم موقعها بالنسبة للخزر عناية العباسيين كسابقيهم الأمويين والراشدين، فيذكر "البلاذرى" أن أهل برذعة قالوا: "الشماخية التى فى عمل شروان نسبت إلى الشماخ بن شجاع، فكان ملك شروان فى ولاية "سعيد بن سالم الباهلى". ولما انتقض أهل أرمينية بقيادة "موشائيل" ولعله ميخائيل، على "الحسن بن قحطبة الطائى" بعث إليه "أبو جعفر المنصور"

مددًا بقيادة "عامر بن إسماعيل"، فاشتبك الحسن مع موشائيل فى قتال عنيف، راح "موشائيل" ضحيته وتفرق جمعه واستقامت الأمور للحسن، وقد نسب إليه نهر الحسن بالبيلقان والباغ، الذى يعرف بباغ الحسن ببرذعة، والضياع المعروفة بالحسنية، وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على علو كعب العباسيين فى أرمينية؛ لأهمية موقعها بالنسبة للخزر، فهو مدخل المسلمين إليها.

ويعدد البلاذرى ولاة أرمينية بعد "الحسن بن قحطبة"، فيذكر: "عثمان بن عمارة بن حزيم، ثم روح بن حاتم المهلبى، ثم خزيمة بن خازم، ثم يزيد بن مزيد الشيبانى، ثم عبيد الله بن المهدى، ثم الفضل بن يحيى، ثم سعيد بن سالم، ثم محمد بن يزيد بن مزيد، وكان خزيمة أشدهم ولاية وهو الذى سن المساحة بدبيل والنشوى، ولم يكن قبل ذلك".

ويذكر "ابن الأثير" أن الترك والخزر أغاروا على باب الأبواب عام (١٤٥هـ/٧٦٢م) فقتلوا من المسلمين عددًا كبيرًا.

وبالرغم من عودة النشاط العسكرى إلا أن الجانب الاجتماعى فى العصر العباسى كان له بريقه، ففى عام (١٨٢هـ/٧٩٨م) فى عهد الخليفة "هارون الرشيد" (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) حدثت مصاهرة بين "الفضل بن يحيى البرمكى" وإلى أرمينية وخاقان الخزر، حيث زفت ابنة ملك الخزر إليه؛ لكنها توفيت ببرذعة، فرجع من كان يرافقها إلى أبيها وأخبروه أنها

قتلت "غيلة"، عندئذ عاد التوتر بين الطرفين، فاعتزم ملك الخزر الزحف إلى بلاد الإسلام.

✍ غزو الخزر بلاد الإسلام عام (١٨٣هـ/٧٩٩م):

فى هذا العام خرج الخزر كما يبدو بسبب مقتل ابنة خاقان من باب الأبواب، فأوقعوا بالمسلمين وأهل الذمة، وسبوا أكثر من مائة ألف رأس، وانتهكوا أمرًا عظيمًا، فولى الرشيد أرمينية "ليزيد بن مزيد" مضافًا إلى آذربيجان، وأمده بالجند، وجهه نحوهم وقيل إن سبب خروج الخزر، أن "سعيد بن مسلم" قتل "المنجم السلمى"، فدخل ابنه بلاد الخزر، وطلب نجدتهم على سعيد، فوجد بالطبع الخزر فرصتهم فى ذلك، فخرجوا ودخلوا أرمينية من الثلمة، وانهزم سعيد، وأقاموا نحو سبعين يومًا فوجه الرشيد لهم خزيمة ويزيد بن مزيد، فأصلحا ما أفسد سعيد وأخرجا الخزر وسدا الثلمة.

✍ علاقة ثقافية مع الخزر:

وكما أشرنا إلى وجود علاقات اجتماعية بين العباسيين ويهود الخزر، كانت لهم أيضًا علاقة ثقافية تمثلت فى رحلة "سلام الترجمان"، كما أشار إلى ذلك "ابن خرداذبة" حين قال على لسان "سلام": "أن الواثق بالله لما رأى فى منامه كأن السد الذى بناه ذو القرنين بيننا وبين يأجوج ومأجوج قد انفتح، فطلب رجلاً يخرجه إلى الموضع فيستخبر خبره فقال: أشناس ما هاهنا أحد يصلح إلا "سلام الترجمان"، وكان يتكلم بثلثين لسانًا، قال: فدعا بى الواثق،

وقال: أريد أن تخرج إلى السد حتى تعاينه وتجيئنى بخبره، وضم إلىّ خمسين رجلاً شباب أقوياء، ووصلنى بخمسة آلاف دينار وأعطانى ديتى عشرة آلاف درهم، وأمر فأعطى كل رجل من الخمسين ألف درهم ورزق سنة، وأمر أن يهيأ للرجال اللبابيد وتغشى بالأديم واستعمل لهم الكستبانات بالفراء، والركب الخشب، وأعطانى مائتى بغل لحمل الزاد والماء".

وهكذا صور "سلام الترجمان" مدى حرص وعناية الخليفة "الواثق بالله" (٢١٧-٢٣٢هـ/٨٤٢-٨٤٧م) بمنطقة يأجوج ومأجوج، وهى على مقربة من باب الأبواب، ذلك المكان الحساس على بحر قزوين (الخزر)، وخوفه على المسلمين من اندفاع الخزر وغيرهم من هذه المنطقة، فضلاً على وعى الخليفة الذى حاول تحقيق الحلم إلى واقع يقوم على التجربة والخبرة العملية الميدانية لا على الظن، بل وخبرة الخليفة فى تزويد البعثة بما تحتاجه من مال وزاد ولباس واق للأفراد تمشيًا مع المناخ وتقلباته.

يواصل "سلام" حديثه قائلاً: "فشخصنا من "سُرَّ من رأى" بكتاب من "الواثق بالله" إلى "إسحاق بن إسماعيل" صاحب أرمينية وهو بتفليس فى إنفاذنا، وكتب لنا "إسحاق" إلى صاحب السرير، وكتب لنا صاحب السرير إلى ملك اللان، وكتب لنا ملك اللان إلى فيلان شاه، وكتب لنا فيلان شاه إلى طرخان ملك الخزر، فأقمنا عند ملك الخزر يومًا وليلة حتى وجه معنا خمسة أدلاء، فسرنا من عنده ستة وعشرين يومًا، فانتهينا إلى أرض سوداء منتنة الرائحة وكنا قد تزودنا قبل دخولها خلاً نشمه من الرائحة المنكرة فسرنا فيها

عشرة أيام، ثم صرنا إلى مدن خراب فسرنا فيها عشرين يومًا، فسألنا عن حال تلك المدن فخُبرنا أنها المدن التى كان يأجوج ومأجوج يتطرقونها فخربوها، ثم صرنا إلى حصون بالقرب من الجبل الذى فى شعبة منه السد، وفى تلك الحصون قوم يتكلمون بالعربية والفارسية مسلمون يقرؤون القرآن لهم كتاتيب ومساجد، فسألونا من أين أقبلنا فأخبرناهم إنا رسل أمير المؤمنين، فأقبلوا يتعجبون ويقولون أمير المؤمنين، فنقول: نعم، فقالوا: شيخ هو أم شاب؟ فقلنا: شاب، فعجبوا أيضًا، فقالوا: أين يكون؟ فقلنا: بالعراق فى مدينة يقال لها "سُرَّ مَنْ رَأى". فقالوا: ما سمعنا بهذا قط، وبين كل حصن من تلك الحصون إلى الحصن الآخر فرسخ إلى فرسخين أقل أو أكثر".

ومن تلك الكلمات يوضح "سلام" طريق الرحلة من "سُرَّ مَنْ رَأى" إلى ملك الخزر بادئًا بالوصول إلى تفليس ومنها إلى صاحب السرير، ثم إلى ملك اللان ومنه إلى فيلان شاه ومنه إلى طراخان ملك الخزر، الذى قدم له المرشدين فساروا معه شهرًا حتى وصلوا إلى حصون بها أناس يتكلمون العربية والفارسية.

يواصل "سلام" حديثه، فيقول: "ثم صرنا إلى مدينة يقال لها أيكة... لها أبواب حديد يرسل الأبواب من فوقها، وفيها مزارع وأرجاء، وهى التى كان ينزلها ذو القرنين بعسكره، بينها وبين السد مسيرة ثلاثة أيام، وبينها وبين السد حصون وقرى حتى تصير إلى السد... وهو جبل مستدير ذكروا أن يأجوج ومأجوج فيه، وهم صنفان ذكروا أن يأجوج أطول من مأجوج،

ويكون طول أحدهم ما بين ذراع إلى ذراع ونصف وأقل أو أكثر، ثم صرنا إلى جبل عال عليه حصن، والسد الذى بناه ذو القرنين هو فج بين جبلين عرضه مائتا ذراع وهو الطريق الذى يخرجون منه فيتفرقون فى الأرض نحو أساسه ثلاثين ذراعًا إلى أسفل وبناه بالحديد والنحاس حتى ساقه إلى وجه الأرض ثم رفع عضدتين، مما يلى الجبل من جنبتى الفج عرض كل عضادة خمس وعشرين ذراعًا فى سمك خمسين ذراعًا الظاهر من تحتها عشر أذرع خارج الباب، وكله بناء بلبن من حديد مغيب فى نحاس تكون اللبنة ذراعًا ونصف فى ذراع ونصف فى سمك أربع أصابع، ودروند حديد طرفاه على العضادتين طوله مائة وعشرون ذراعًا قد ركب على العضادتين، وفوق الدروند بناء بذلك اللبن الحديد فى النحاس إلى رأس الجبل، وارتفاعه مد البصر، يكون البناء فوق الدروند نحوًا من ستين ذراعًا، وفوق ذلك شرف حديد فى طرف كل شرفة قدنتان تنثنى كل واحدة منها على الأخرى، طول كل شرفة خمس أذرع فى عرض أربع أذرع، وعليه سبع وثلاثون شرفة، وإذا باب حديد مصراعين معلقين عرض كل مصراع خمسون ذراعًا فى ارتفاع خمس وسبعين ذراعًا فى تخن خمس أذرع وقائمتاهما فى دوارة على قدر الدروند لا يدخل من الباب ولا من الجبل ريح... وعلى الباب قفل طوله سبع أذرع فى غلظ باع فى الاستدارة، والقفل لا يحتضنه رجلان، وارتفاع القفل من الأرض خمس وعشرين ذراعًا، وفوق القفل بقدر خمس أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل، وقفيزاه كل

واحد منهما ذراعان، وعلى الغلق مفتاح معلق طوله ذراع ونصف وله اثنتا عشرة دندانكة كل دندانكة فى صفة دستج الهواوين، واستدارة المفتاح أربعة أشبار معلق فى سلسلة ملحومة بالباب طولها ثمانى أذرع فى استدارة أربعة أشبار، والحلقة التى فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق، وعتبة الباب عرضها عشر أذرع فى بسط مائة ذراع سوى ما تحت العضادتين.. ومـع البـاب حصنان.. على باب هذين الحصنين شجرتان وبين الحصنين عين عزبـة، وفى أحد الحصنين آلة البناء التى بنى بهـا الـسد مـن القـدور الحديـد، والمغارف الحديد على كل ديكدان أربع قدور مثل قدور الصابون، وهنـاك بقية من اللبن الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدأ، تلك الحصون يركب فى كل يوم اثنين وخمسين وهم يتوارثون ذلك الباب. كما يتوارث الخلفـاء الخلافة يجئ راكبًا ومعه ثلاثة رجال على عنق كل رجل مرزبـة، ومـع الباب درجة فيصعد على أعلى الدرجة فيضرب القفل ضربة فى أول النهار فيسمع لهم جلبة مثل كور الزنابير ثم يخمدون، فإذا كان عند الظهر ضربة ضربة أخرى، ويصغى بأذنه إلى الباب فتكون جلبتهم فى الثانية أشـد مـن الأولة ثم يخمدون، فإذا كان وقت العصر ضرب ضربة أخرى فيـضجون مثل ذلك ثم يقعد إلى مغيب الشمس ثم ينصرف، الغرض فى قرع القفل أن يسمع من وراء الباب فيعلموا أن هناك حفظة ويعلم هؤلاء أن أولئـك لـم يحدثوا فى الباب حدثًا، قال سلام: فقلت لمن كـان بالحـضرة مـن أهـل الحصون، هل عاب من هذا الباب شئ قط؟ قالوا: ما فيه إلا هـذا الـشق..

قال: فدونت وأخرجت من خفى سكينًا فحككت موضع الشق ما خرج منه مقدار نصف درهم وأشد فى منديل لأريه الواثق بالله، وعلى فرد مصراع الباب الأيمن فى أعلاه مكتوب بالحديد باللسان الأول: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (الكهف: ٩٨). وفى الجبل محفور الموضع الذى صب فى الأبواب، وموضع القدور التى كان يخلط فيها النحاس، والموضع الذى كان يغلى فيه الرصاص والنحاس... ولما انصرفنا أخذ بنا الأدلاء ناحية خراسان، ووردنا "سُرَّ من رأى": فدخلت على الواثق فأخبرته بالقصة وأريته الحديد الذى كنت حككته من الباب فحمد الله وأمر بصدقة يتصدق بها، وأعطى الرجال كل رجل ألف دينار، وكان وصولنا إلى السد فى ستة عشر شهرًا، ورجعنا فى اثنى عشر شهرًا وأيام".

وهكذا كانت رحلة "سلام الترجمان" ثقافية بكل المقاييس، إذ وصف الطريق من "سُرَّ من رأى" حتى سد يأجوج ومأجوج، ثم وصف "السد" وصفًا علميًا هندسيًا من حفر أساسه، وإقامة دعائمه، وارتفاع بنائه، والمواد التى استخدمت فى هذا البناء، وكذلك الآلات المعنية، ثم باب السد الضخم وقفله العجيب، ومفتاحه الكبير، والحصون التى تقوم بحمايته، وطريقة التواصل بين الحراس، ويأجوج ومأجوج خلف السد والباب، حتى العيب البسيط والذى أخذ منه الحديد إلى الواثق بالله دلالة على وصوله للسد ذكره، حتى عودته إلى "سُرَّ من رأى" ولقاء الخليفة، وهى كما قلنا رحلة علمية ثقافية شارك فيها

الخزر، دلالة على العلاقات الثقافية بين العباسيين والخزر، إلى جانب العلاقات الاجتماعية وكذلك السياسية.

وصفوة القول: تعددت وتباينت العلاقات بين الخلافة الإسلامية والخزر، فكانت فى العصر الراشدى سياسية بحتة، بينما كانت فى العصر الأموى سياسية تخللتها علاقات اجتماعية؛ لكنها كانت فى العصر العباسى فى أغلبها اجتماعية ثقافية.

رابعًا- انهيار دولة الخزر عام (٣٥٤هـ/٩٦٥م):

بحكم موقع دولة يهود "الخزر"، كان لها إبان سطوتها خلال القرنين الثانى والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين)، السيادة على الطرق المؤدية إلى البحر الأسود، لاسيما وأن الخزر كانوا يسيطرون على مدينة "كييف" الروسية.

ومعنى هذا أن الروس إذا رغبوا فى نزول البحر سواء قزوين أو الأسود، كان عليهم أن يدفعوا ليهود الخزر الضرائب المقررة والتى قدرت بـ١٠%، حيث قال "ابن حوقل": "ومصب تجارة الروسية على دائم الأوقات إلى خزران، وكان عليهم فيما يوردونه نحو العشر من أموالهم". ورغم وجود بعض التسويات المؤقتة Modusririendi، إلا أنها كانت محفوفة بالمخاطر، إذ استغلت الأساطيل الروسية الفرصة وهاجمت "آبسكون" فيما

بين عامى (٨٦٤-٨٨٤م)؛ لكنها منيت بهزيمة قاسية، فأعاد الروس الكرة بعد عام (٣٠٠هـ/٩١٢م)، فيذكر "المسعودى" أنه بعد عام (٣٠٠هـ) ورد نحو خمسمائة مركب على متن كل منها مائة شخص، وقد راسلوا ملك الخزر فى رغبتهم اجتياز بلاده، وانحدارهم عبر نهره إلى بحر الخزر، مقابل نصف ما يغنمون، فوافقهم على طلبهم، وجاءت السفن الروسية وانتشرت فى البحر؛ لكنها قامت بالإغارة على "آبسكون، وآذربيجان، وطبرستان، وجرجان، وباكو، وغير ذلك"، واستباحوا النساء والأطفال، ثم قدموا هداياهم لملك الخزر حسب الاتفاق.

وعلى صعيد آخر لم يعجب هذا العمل جماعة "اللارسية"، فطلبوا من الملك التصدّى للروس وتركهم لهم، فوافق الملك على طلبهم لعلاقته الودية مع الخلافة الإسلامية، إلا أنه أعلم الروس بذلك لمكاسبه الشخصية.

المهم أن المسلمين اشتبكوا مع الروس فى معركة حامية وانتصروا عليهم. وعندئذ قرر ملك الخزر عدم السماح للروس ثانية بدخول بلاده، واجتياز أراضيه إلى البحر، فحرم بهذا العمل الروس من ثروات متعددة، فقرروا مهاجمة بلاد الخزر فى عام (٣٥٤هـ/٩٦٥م)، حيث قام "الأرشيدوق Swjatoslaw" أمير كييف بالهجوم على بلاد الخزر، واستولى على مدينتهم "بيلا فيزا Biela Viezha" القلعة البيضاء، وهو الاسم السلافى لمدينة "ساركل" مقر القلعة على نهر الدون.

وبذلك بدأ انهيار دولة يهود الخزر إيذانًا بسقوطها، وأصبحت حوالى عام (١٠٩٥م) تابعة للروس على رودية "شـــخماتوف Ashakhmatow" كاتب أقدم الحوليات الروسية، وإذا كان "ابن حوقل" قد اعتبر الانهيار بـــدأ عام (٣٥٨هـ)، فربما كان هذا التاريخ هو وقت وصول الخبر إليه، فالثابــت كما ذكرنا وطبقًا لما جاء عند ابن الأثير وغيره أن عام (٣٥٤) هو بدايـــة الانهيار على أيدى الروس، ثم أعقبه السقوط النهائى فى منتـــصف القـــرن الثالث عشر الميلادى تقريبًا على أيدى المغول.

نتائج الدراسة:

وقد تمخض عن هذه الدراسة عدد من النتائج، نذكر منها ما يلى:

١- كشفت الدراسة عن مدى البعد السياسى فى اعتناق الخزر لليهودية بعيدًا عن عباءة الدين.

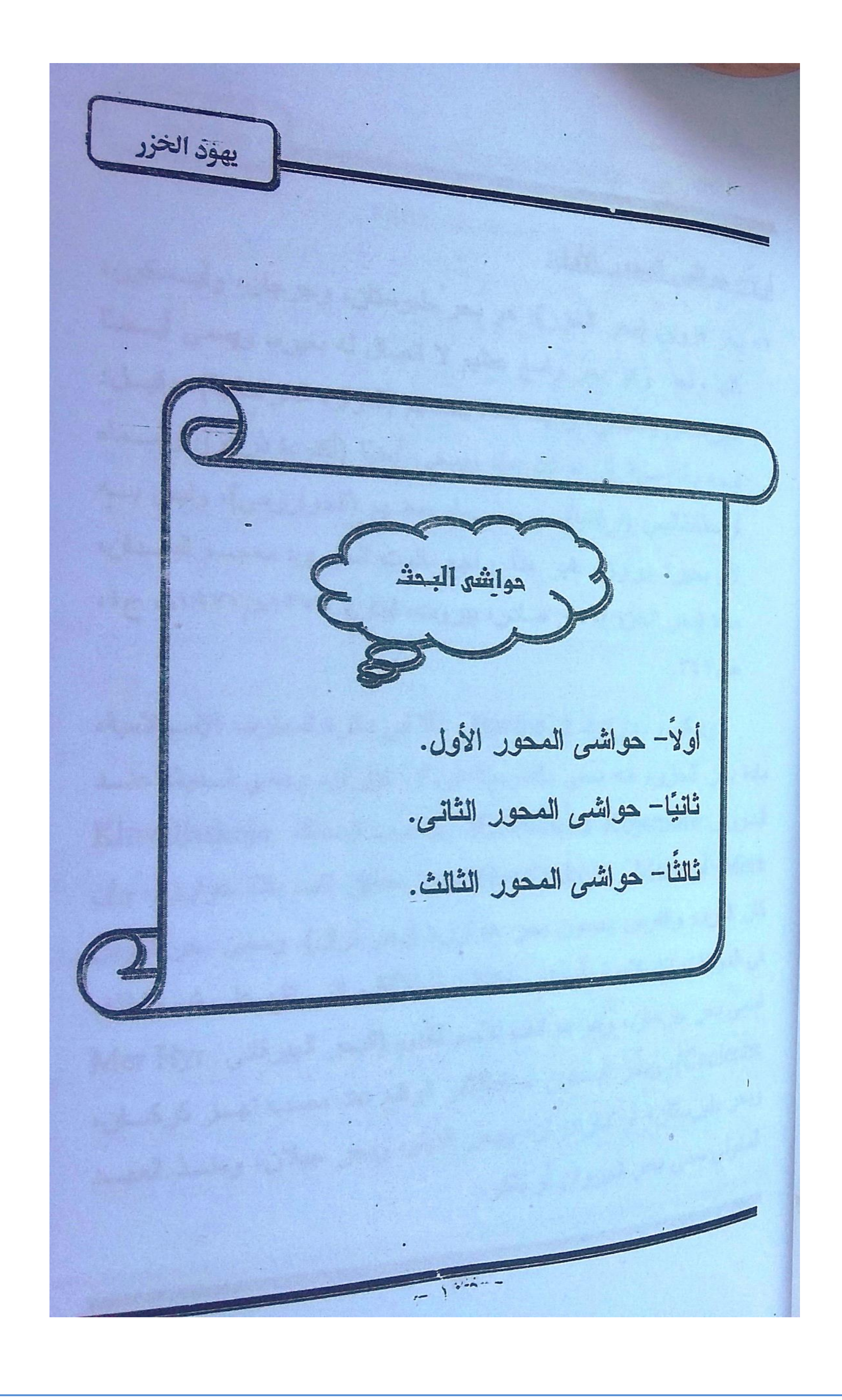
٢- أوضحت الدراسة أصل الخزر وهم أتراك ينتمون إلى "يافث"، ولــيس "لسام ابنى نوح" (عليه السلام) لدحض فكرة السامية.

٣- الوقوف على حقيقة العلاقة بين اليهود وفلسطين، منذ أول أنبياء اليهود وإلى عصر يهود الخزر (الإشكيناز)، حيــث أوضـــحت الدراســـة أن فلسطين أرض غربة بالنسبة لهم وليست أرض ميعاد بنص التوراة.

٤- الكشف عن حقيقة شائعة نقاء الجنس اليهودى، من خلال تتبع الدراسة الأنثروبولوجية، سواء فى الصفات الجسدية أو فصائل الدم، وقد أثبتت الدراسة أنه لا نقاء ليهود اليوم، ولا ليهود الأمس بنص التوراة نفسها.

٥- أوضحت الدراسة عن تأثر يهود الخزر فى رسومهم بالأقوام الوثنية الأخرى.

٦- أوضحت الدراسة وجود علاقات اجتماعية، كالزواج والمصاهرة بين المسلمين ويهود الخزر، كما أوضحت علاقات ثقافية تمثلت فى بعثة "سلام الترجمان".


حواشى البحث
أولاً- حواشى المحور الأول.
ثانيًا- حواشى المحور الثانى.
ثالثًا- حواشى المحور الثالث.

أولاً- حواشي المحور الأول:

١- بحر قزوين (بحر الخزر): هو بحر طبرستان، وجرجان، وآبسكون، كلها واحد، وهو بحر واسع عظيم لا اتصال له بغيره، ويسمى أيضًا الخراساني والجبلي، وربما سماه بعضهم (الدوارة الخراسانية)، وقيل: اسمه بالفارسية (زراه اكنوده)، ويسمى أيضًا (أكنودة دَرْياو)، وسماه أرسطاطاليس (أرقانيا)، وربما سماه بعضهم (الخوارزمي)، وليس به لأن بحيرة خوارزم غير هذا. راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة (بحر الخزر)، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م، ج١، ص٣٤٢.

ويذكر و. بارتولد W. Barthold في دائرة المعارف الإسلامية، مادة بحر الخزر، أنه سمى بالفارسية دریای خزران، وسمى قديمًا عند الروس Khwalisms Kojemore، ويكتب كذلك Khwalisskoje More، أو Khwalinkoje More وهذا مطابق لاسم بلاد خوارزم، وإن كان العرب والفرس يسمون بحر خوارزم (بحر آرال). وسمى بحر قزوين في المؤلفات الإسلامية بأسماء مختلفة تبعًا للأقاليم التي تقع على شواطئه، فسمى بحر جرجان، وهو مرادف للاسم القديم (البحر الهيرقاني Mer Hyr Canienne)، وبحر آبسكون نسبة للثغر الواقع عند مصب نهر كركان، وبحر طبرستان، أو مازندران، وبحر الديلم، وبحر جيلان، ومنذ العهد المغولي سمى بحر شيروان أو باكو.

٢- آرثر كيستلر Arhur Koestler: صاحب كتاب "القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم The Thirteenth"، أديب موسوعى الثقافة، وهو يهودى من أب مجرى وأم نمساوية، ولد في بودابست عام ١٩٠٥م.-وعاش فى النمسا، ثم قام بالتنقل والترحال بين عدد من البلدان، فزار: فلسطين، وبرلين، والاتحاد السوفيتى "سابقًا"، وآسيا الوسطى، وأسبانيا، وأوكرانيا، وقد ألف كتابه الشهير "القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم" قدم فيه دراسة وافية عن الخزر: عقيدة وعادات وتقاليد وعلاقات. هذا وتوفى "كوستلر" بلندن فى ٣ مارس عام ١٩٨٣.

٣- جمال حمدان "دكتور": شخصية مصر (دراسة فى عبقرية المكان)، دار العالم العربى، القاهرة، ١٩٨٠؛ ص١٣.

٤- خمليج: وردت عند ياقوت باسم (خمليخ)، وقال عنها: إنها مدينة ببلاد الخزر، قال "البحترى" يمدح إسحاق بن كنداجيق:

لم تكن الخزرات إلف ذؤابة .. يحتل فى الخزر الذوائب والذرى

شرف تزيد فى العراق إلى الذى .. عهدوه فى خمليج أو ببلنجرى

راجع ياقوت الحموى: المصدر السابق، مادة خمليخ، ج٢، ص٣٨٩.

٥- بلنجر: بفتحتين وسكون النون، وجيم مفتوحة وراء، مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب، قالوا افتتحها (عبد الرحمن بن ربيعة). راجع ياقوت الحموى: المصدر السابق، مادة خمليخ، ج١، ص٤٨٩-٤٩٠.

الأبواب، ...
البيضاء: مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب، ...

٦- البيضاء: مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب ... في جوف الفرا
ابن كنداجيق الخزرى:

إن يوم إسحاق بن كنداجيق فى ... أرض فكل الصيد فى جوف الفرا
قد ألبس التاج المعاور لبســه ... فى الحالتين مملكًا ومؤمَّــرا
شرف تزيد بالعراق إلى الذى ... عهدوه بالبيضـــاء أو ببلنجـرا

راجع ياقوت الحموى: المصدر السابق، مادة البيضاء، ج١، ص٥٢٩-٥٣٠.

٧- ابن خرداذبة: ت حوالى ٣٠٠هـ/٩١٢م (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله)، المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص١٢٥.

٨- ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص١٢٢.

٩- أرّان: بالفتح وتشديد الراء، وألف ونون، اسم أعجمى لولاية واسعة، وبلاد كثيرة، منها جنزة، وهى التى تسميها العامة كنجة، ومنها برذعة، وشمكور، وبيلقان، وبين آذربيجان وأرّان نهر يقال له "الرس" كل ما جاوره من ناحية المغرب والشمال فهو أرّان، وما كان من جهة المشرق فهوم من آذربيجان، ويقع إقليم الرّان بين نهرى "الرس" و"الكر". ويستخرج من الثانى السمك المعروف "بالسرماهى" و"شورماهى" بالفارسية معناها السمك المملح. راجع ياقوت الحموى:

المصدر السابق، مادة أرّان، ج١، ص١٣٦. وكى استرنج بلندن، الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٢١١.

١٠- جرزان: بالضم ثم السكون وزاى وألف ونون، اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس. ياقوت الحموى: المصدر السابق، ج٢، مادة جرزان، ص١٢٥.

١١- سيسجان: بكسر أوله وفتحه، هى فى الإقليم الخامس، بلدة بعد أرّان، افتتحها حبيب بن مسمة وسمّاها غزاة أرمينية الأولى. راجع ياقوت الحموى: المصدر السابق، مادة سيسجان، ج٣، ص٢٩٧.

١٢- إتل أو آيدل (الفولجا): نهر عظيم يشبه دجلة، وهو ببلاد الخزر، ويمر ببلاد الروس وبلغار، وقيل إتل قصبة بلاد الخزر، والنهر مسمى بها، وينبع هذا النهر من أقصى الجنوب فيمر على البلغار والروس والخزر، ويصب فى بحيرة جرجان، وفيه يسافر التجار إلى ويسو ويجلبون الوبر الكثير، كالنقذز والسمور والسنجاب، وقيل إن مخرجه من أرض هخرخيز فيما بين الكيماكية والغزية، وهو الحد بينهما، ثم يذهب مغربًا إلى البلغار، ثم يعود إلى برطاس، وبلاد الخزر، حتى يصب فى البحر الخزرى، وقيل إنه يتشعب من نهر إتل نيف وسبعون نهرًا، ويبقى عمود النهر يجرى إلى الخزر حتى يقع فى البحر. راجع ابن فضلان:

أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضلان، تحقيق الدكتور سامى الدهان، مكتبة الثقافة العالمية، بيروت، الطبعة الثانية، ص١٣٦-١٣٧، وابن حوقل: ت٣٦٧هـ/٩٧٨م (أبو القاسم بن حوقل النصيبى)، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص٣٣٢-٣٣٣، وياقوت الحموى: المصدر السابق، مادة إتل، ج١، ص٨٧-٨٨.

١٣- ابن رستة: (أبو على أحمد بن عمر بن رستة ت ٣١٠هـ)، الأعلاق النفيسة، المجلد السابع، مطبعة بريل، مدينة ليدن، هولندا، ١٩٨١م، ص١٣٩.

١٤- تفليس: قال ياقوت الحموى فى معجمه تفليس: بفتح أوله وكسره، بلدة بأرمينية الأولى، وبعض يقول بأران، وهى قصبة ناحية جرزان قرب باب الأبواب، وهى مدينة قديمة أزلية. مادة تفليس، ج٢، ص٣٥، وقال أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ) فى "تقويم البلدان" أن تفليس قصبة كرجستان. دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، طبع نقلاً عن طبعة باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م، ص٤٠٢-٤٠٣. وذكر (مينورسكى V. Minorsky) فى دائرة المعارف الإسلامية مادة تفليس: إنها قصبة بلاد الكرج وخاصة الجزء الشرقى منها المعروف باسم خرتليا. وتعرف هذه المدينة فى لغة الكرج باسم تفليس Thabilisi، والشائع أن هذا الاسم مشتق من كلمة تفيلى Tphili ومعناها حار، وفى ذلك إشارة إلى منابع تفليس الحارة، كما

تعرف فى اللغة الأرمينية باسم تفخيس Tphkhis (تفليس Tphlis)، وفى العربية باسم تفليس.

١٥- الكرج: يدّعى الكرج أنهم أحفاد (قارتلوس)، وأن اسمهم الأصلى (قارتول) نسبة إلى (قارتلوس) رأس الأمة الكرجية التى كان مقرها مفرق نهرى "كُر" و"آراغوى" من ٢١٠٠ سنة قبل الميلاد، ويقولون أنهم كانوا معروفين عند العبرانيين باسم "منشَخْ" أو "منشخى"، كما أنهم يدّعون أن "قارتلوس" هذا من أولاد "يافث"، وأن عاصمة ملكهم الأولى تسمى "مكسخت" نسبة إلى "ابن قارتلوس". وللكتاب الروس عدة آراء فى الأصل واشتقاق كلمة "كُرج"، وقد كناهم السريان بكلمة "غاريز"، وكورجستان معناها بالفارسية "بلاد القوة والقدرة"، كما يذكر أن "كورجستان" سميت بذلك نسبة للقديس جورجى، وكانت بلاد الكرج تعرف باسم "سابير" ثم "أيبيريا". راجع _مه ت جوناتوقة يوسف عزت باشا)، تاريخ القوقاز، تعريب: خوستوقة عبد الحميد غالب بك، القاهرة، ١٩٤٠م، ص٢٨-٣٠.

١٦- جبال القوقاز (قفقاسيا): تمتد هذه السلسلة بين البحرين الأسود والخزر، وطولها ١٢٠٠ كيلومتر، وترتفع فى بعض قممها من ٣٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ متر، وأعلى جبالها جبل (البُرز) إذ يبلغ ارتفاعه ٥٦٣٠ متر، وأهم جبالها (قوش تان تاو) و(شخارا) اللذين يبلغ ارتفاع كل منهما ٥٢٠٠ متر تقريبًا، كذلك جبل قاربك المشهور ارتفاعه ٥٠٤٤

متر، والجليد لا ينقطع عن قمم تلك الشاهقات، وفيها "ثلاجات" مشهورة، منها ثلاجة (ماروخ) التى يبلغ طولها ٢ كيلو متر، وعرضها كيلو متر، وسلسلة جبال "بَافسَن"، وقد عبَّد الروس الطريق الوحيد المسمى (دريال) المعروف قديمًا بباب اللان. راجع (مه جوناتوقة يوسف عزت باشا)، المرجع السابق، ص١١-١٢.

١٧- ابن رستة: المصدر السابق، ص١٣٩.

١٨- سارغشن: أوردها "الكرديزى سارغش"، ويذكر "مينارسكى" أن الجزء الأول من هه الكلمة هو سريع تركى، الأصل بمعنى أصفر، وسارغشن هذه يجب أن تكون مدينة سقسين. الكرديزى ت ٤٤٢-٤٤٣هـ (أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمد بن محمود الكرديزى)، "زين الأخبار"، ترجمة عن الفارسية الدكتورة عفاف السيد زيدان، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، هامش إ، ص ٤٦٤.

١٩- هب نلغ أو حبنلغ: أوردها الكرديزى خُتُلُغ بضم الخاء واللام، وذكر الأستاذ حبيبى نقلاً عن مينارسكى أنها بمعنى راض ومسرور. هامش ٢، المصدر السابق، ص٤٦٤.

٢٠- الكرديزى: المصدر السابق، ص٤٦٣.

٢١- الكرديزى: المصدر نفسه، ص٤٦٤.

٢٢- ابن فضلان: أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضلان، تحقيق الدكتور سامى الدهان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، ص١٧٢.

٢٣- كراتشكوفسكى: اغناطيوس يوليا نوفتس كراتشكوفسكى، تاريخ الأدب الجغرافى العربى، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٢٠٢-٢٠٣.

٢٤- الإصطخرى: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى (ت ٣٤٦هـ)، مسالك الممالك، ليدن، ١٩٢٧م، ص٢٢٠.

٢٥- بك: بك لفظ تركى بمعنى الكبير، وأصله مقصور من بيوك أى كبير. دكتور حسن الباشا، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، ١٩٧٨م، ص٢٢٥.

٢٦- ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل القصيبى (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص٣٣٠.

٢٧- المسعودى: أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى (ت ٣٤٦هـ/٩٥٦م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق قاسم الشماعى الرفاعى، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٩م، ج١، ص١٧٠.

أكبر (الخزر) طبرستان بحر على وهى الباب، له يقال :الأبواب باب -٢٨ الأساس موثقة البناء، محكمة وهى ميلين، فى ميلين نحو أردبيل من (طبرسران، :مثل عديدة، أمم تحرسها كانت الفارسى، أنوشروان بناها سورها من مد وقد وغيرهم، (وشروان واللیران، واللكز، وفيلان، ،السور من السفن تقارب من ليمنع طولان أنف شبه البحر فى قطعة علاقة وكذلك بالخزر، وعلاقتهم الفرس تاريخ فى كبرى أهمية ولها معجم :الحموى ياقوت راجع ."دربند" وتسمى بالمسلمين، الخزر .٣٠٤-٣٠٣ص ،١ج ،(الأبواب باب) مادة ،البلدان

٢٩- سمندر: بفتح أوله وثانيه ثم نون ساكنة، ودال مفتوحة، وآخره راء، مدينة خلف باب الأبواب بثمانية أيام بأرض الخزر، بناها أنوشروان بن قباذ. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٦ مادة (سمندر).

٣٠- المقدسى: تقى الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء المقدسى ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، القاهرة، ص٣٥٥.

٣- الإصطخرى: المصدر السابق، ص٢٢٦-٢٢٧.

٣- آبسكون: بفتح أوله وثانيه وسكون السين المهملة، وكاف وواو ونون، مدينة على ساحل بحر طبرستان، بينها وبين جرجان أربعة وعشرون

فرسخا، وهى فرضة للسفن والمراكب. ياقوت الحموى: المصدر السابق، ج١، ص٧٣، مادة آبسكون.

٣٣- دهستان: بكسر أوله وثانيه بلد مشهور فى طرف مازندران قرب خوارزم وجرجان ....، ودهستان ناحية بجرجان، وناحية بباذغيس من أعمال هراة، منها محمد بن أحمد بن أبى الحجاج الداهستانى الهروى. ياقوت الحموى: المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٢، مادة (دهستان).

٣٤- برطاس: بالضم اسم لأمة لهم ولاية واسعة تعرف بهم تنسب إليها الفراء البرطاسية، وهم قوم مفترشون على وادى "إتل"، وبرطاس اسم للناحية والمدينة، وهم مسلمون ولهم مسجد جامع، ولأهل برطاس لسان مفرد ليس بتركى، ولا خزرى، ولا بلغارى. قال الإصطخرى: وأخبرنى من كان يخطب بها أن مقدار الناس من المدينتين نحو عشرة آلاف رجل لهم أبنية خشب يأوون إليها فى الشتاء، وأما فى الصيف فإنهم يفترشون الخركاهات. قال الخاطب: وإن الليل عندهم لا يتهيأ أن يسار فيه فى الصيف أكثر من فرسخ، ومن إتل مدينة الخزر إلى برطاس مسيرة عشرين يومًا، ومن أول مملكة برطاس إلى آخرها نحو خمسة عشر يومًا. ياقوت الحموى: المصدر السابق، ج١، ص٣٨٤-٣٨٥ مادة (برطاس).

٣٥- ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣٣٦-٣٣٧.

٣٦- ابن حوقل: المصدر نفسه، ص٣٣٧.

٤٧- محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامى فى أرمينية، حدة الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٢٧.

٤٨- كيستلر: المصدر السابق، ص٢٥.

٤٩- ابن رستة: المصدر السابق، ص١٣٩.

٥٠- كيستلر: المصدر السابق، ص٢٦.

٥١- كيستلر: المرجع نفسه، ص٢٩.

٥٢- الإصطخرى: المصدر السابق، ص٢٢٣.

٥٣- ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣٣٤.

٥٤- ياقوت الحموى: المصدر السابق، مادة خزر، ج٢، ص٣٦٨.

٥٥- كيستلر: المصدر السابق والصفحة.

٥٦- د. م. دنلوب: المرجع السابق، ص٢٢.

٥٧- بارتولد: دائرة المعارف الإسلامية، مادة بلغار.

٥٨- د. م. دنلوب: المرجع السابق، ص٢٢.

٥٩- كيستلر: المرجع السابق، ص٣٠.

٦٠- خاقان: هو الرسم العربى للقب السلطان التركى "قاغان" وكان يحمل هذا اللقب حكام الشعوب العريقة فى القدم، التى كانت تسمى نفسها تركًا فى

القرن السادس الميلادى، وقد أخذوا هذا اللقب عن أسلافهم الأوار الأصليين أو الزاون زوان الصينيين ثم فرق بعد ذلك بين "قان" أو "خان"، وقاغان أو خاقان، واستعملت "خاقان" بمعنى خان الخانات ... وكلمة قا آن التى ظهرت فى العهد المغولى، ثم لم تستعمل بعد ذلك لها نفس المعنى. راجع بارتولد: دائرة المعارف الإسلامية، ج٨، مادة خاقان، ود. حسن الباشا، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، ص٢٧١.

٦١- اليعقوبى: أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى ت٢٨٢هـ، تاريخ اليعقوبى، المجلد الأول، بيروت، ص١٥٩.

٦٢- الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠هـ، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ج٢، ص٥٨.

٦٣- ستيفن رنسيمان: الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص٢٦-٢٧.

٦٤- اليعقوبى: المصدر السابق، ج١، ص١٦٢.

٦٥- اليعقوبى: المصدر نفسه، ص١٦٢-١٦٣.

٦٦- اليعقوبى: المصدر نفسه والجزء، ص١٦٣.

٦٧- الكرديزى: المصدر السابق، ص٤٢-٤٤.

أبـو الفـرد بـن أهـرون ت.

٦٨- ابن العبرى: غريغوريوس الملطـى أبو الفرد بن أهرون ت. ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيـروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، ص٥٨.

٦٩- البلاذرى: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ت. ٢٧٩هـ، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص١٩٨.

٧٠- البيلقان: من مدن أران وهى مدينة خصبة، وقيل إنها مدينة بدر بنـو خزران، ولعلها بناها بيلقان بن أرمينى بن لنطى بن يونان فنسبت إليه، وبينها وبين ورثان ستة فراسخ. أبو الفدا: ت. ٧٣٢هـ، عمـاد الـدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، دار الطباعـة الـسلطانية، باريس، ١٨٤٠م، ص٤٠٤-٤٠٥.

٧١- برذعة: قال المقدسى: قصبة كبيرة مربعة فى سهلة لها حصن وسعة، أسواقها قد ظلت مجتمعة، على ظهر السوق مسجد الجامع÷ هى بغداد هذا الإقليم، دورهم بهية من آجر، وجص، طيبة حسنة كثيرة الفواكـه، بعض أساطين الجامع بجص وآجر، وبعضه بخشب، ولها نهر يتخللها، ونهر "الكر" منها على فرسخين، الأنهار متقاربة منها نقيـة غيـر أن أطرافها قد خربت، وقد خفت من أهلها، وتشعث حـصنها. ويـستطرد "المقدسى" فى كلامه عن "برذعة" ويصف سوقها المعروف "بـالكركى" قائلاً: ويقوم ببرذعة سوق يسمى "الكركى"، يجتمع إليه أهـل الكـورة

والنواحى فى يوم "الأحد" حتى أن أحدهم يقول: يوم السبت، ويوم "الكركى"، ويوم الاثنين. يباع فيه الأبرسيم، والثياب، ولا نظير لتككهم، ومحفورياتهم، وقرمزهم، وصبغهم، وفاكهة تسمى "الزوقل"، وقسبوية، وسمك يقال له "الطريخ"، ولهم تين وشاه بلوط فى غاية الجودة. المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص٣٧٥-٣٨٠، وأبو الفدا: المصدر السابق، ص٤٠٢-٤٠٣. ويضيف كى لسترنج: أن "الكركى" من قرياقوس Kariakos اليونانى، وتعنى "يوم الرب"، ويسمون يوم الأحد هناك يوم الكركى. كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص٢١٢.

٧٢- الطبرى: المصدر السابق، ج٢، ص١٠٠.

٧٣- ابن العبرى: المصدر السابق، ص٥٨.

٧٤- كريستنسن (آرثر): إيران فى عهد الساسانيين، ترجمة: د. يحيى الخشاب، مراجعة: د. عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص٤٣١.

٧٥- البلاذرى: المصدر السابق، ص١٩٩-٢٠٠.

٧٦- كيستلر: المرجع السابق، ص٣١.

٧٧- اليعقوبى: المصدر السابق والجزء، ص١٧٨.

٧٨- الطبرى: المصدر السابق والجزء، ص١٠٢.

٧٩- كرزيستنتسن: المرجع السابق، ص٤٣١.

٨٠- كيستلر: المرجع السابق، ص٣٢.

٨١- اليعقوبى: المصدر السابق والجزء، ص١٦٥-١٦٦.

٨٢- البلخى: أبو زيد أحمد بن سهل، ت. ٣٢٢هـ، وضع حواشى الكتاب خليل عمران المنصور، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج١، ص٢٩٤.

٨٣- د. م. دنلوب: المرجع السابق، ص١١.

٨٤- كيستلر: المرجع السابق، ص٣١.

٨٥- ابن رستة: المصدر السابق، ص١٣٩.

٨٦- ابن رستة: المصدر نفسه والصفحة.

٨٧- الإصطخرى: المصدر السابق، ص٢٢٠.

٨٨- ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣٣٠.

٨٩- المقدسى: المصدر السابق، ص٣٦٠.

٩٠- الكرديزى: المصدر السابق، ص٤٦٣.

١٧٨.

٩١- اليعقوبى: المصدر السابق، ج١، ص١٧٨.

٩٢- المسعودى: المصدر السابق، ج١، ص١٧٠-١٧١.

٩٣- د. م. دنلوب: المرجع السابق، ص١٣٦.

٩٤- كيستلر: المرجع السابق، ص٦٦-٦٧.

٩٥- ياقوت: المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٨، مادة خزر.

٩٦- المسعودى: المصدر السابق، ج١، ص١٧٠.

كيستلر: المرجع السابق، ص٢٣.

د.م. دنلوب: المرجع السابق، ص١٣٥.

http://www.arabmbcil/History3.2002.html,P.1.

٩٧- كيستلر: المرجع السابق، ص٢٣.

٩٨- الشامانية Shamanism: تظهر العقائد الشامانية فى مراسم الجنائز والدفن عند الترك، وتروى المصادر الصينية أن الأتراك يقيمون إلى جوار قبور الجند تماثيل لقتلى هؤلاء، وقد عززت نقوش أرخون هذه الرواية حيث ذكرت أن بعض هذه التماثيل كان يسمى بالبال Balbal. وتذكر المصادر البيزنطية أن الرؤساء العسكريين الذين يقعون فى أسر الترك كانوا يذبحون عادة إلى جوار قبر الخان. و. بارتولد: تاريخ

الترك فى آسيا الوسطى، ترجمة: د. أحمد السعيد سليمان، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٦م، ص٢٨-٢٩.

٩٩- المسعودى: المصدر السابق، ج١، ص١٧٠.

كيستلر: المرجع السابق، ص٦٣.

١٠٠- كستلر: المرجع نفسه، ص٦٤.

١٠١- ابن النديم: محمد ابن إسحاق النديم، ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص٢٩.

١٠٢- البرغز: مدينة على ساحل بحر مايطس وهو متصل بخليج القسطنطينية، وتطلق على جماعة من الترك، ويقول المسعودى: وملك الترك فى وقتنا هذا وهو ٣٣٢هـ، مسلم أسلم أيام المقتدر العباسى، وقد ذكرها ياقوت برغر.

المسعودى: المصدر السابق ١٧٣/١، ياقوت: المصدر السابق ٣٨٥/٢.

١٠٣- د.م. دنلوب: المرجع السابق، ص١٧٦-١٧٧.

كيستلر: المرجع السابق، ص٦٨.

د. زبيدة محمد عطا: اليهود فى العالم العربى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص٤٧.

١٠٤- ابن أبى أصيبعة: موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى، ت. ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ج٣، ص٨٢، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

١٠٥- كيستلر: المرجع السابق، ص٦٩.

د. زبيدة محمد عطا: المرجع السابق، ص٤٧.

د. محمد عبد الشافى المغربى: المرجع السابق، ص٢٠٠.

١٠٦- غراء السمك Isinglass: نوع من الغراء المستخرج من بعض أصناف السمك، وتشتهر باستخراجه بقاع فى روسيا على نهر الفولجا، وغيره من أنهارها، وتتفق بعض هذه البقاع مع المواطن التى كان يسكنها، ولهذه المادة قيمة صناعية هامة فى تنقية السوائل المختلفة، كما أنها تدخل فى صقل الحرير وغيره.

ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣٣٤.

مهدى علام: هامش (١)، ص٣٠٩، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد السادس، مادة الخزر.

١٠٧- كيستلر: المرجع السابق، ص٧١، زبيدة محمد عطا: المرجع السابق، ص٤٧.

١٠٨- كيستلر: المرجع السابق، ص٧٣.
Her Man Rosenthal, Jewish Encyclopedia, Art CHAZAKS.

١٠٩- كيستلر: المرجع السابق، ص٧٣.

١١٠- د.م. دنلوب: المرجع السابق، ص١٧٩.

كيستلر: المرجع السابق، ص٧٤-٧٥.
Abba Eban, My People, the Story of the Jewish, P.145.

١١١- كيستلر: المرجع السابق، ص٦٩.
Her Man Rosenthal, Jewish Encyclopedia, Art CHAZAKS.
Abba Eban, My People, the Story of the Jewish, P.149.
عبد الحميد حمودة: وما شأن الكيان الصهيونى بالسامية، مقال بمجلة مركز الدراسات الإسلامية، العدد ١٣٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص٣.
http://www.alsunnah.org/dcenterm.asp2catid=851J.page3id=2982.

١١٢- كيستلر: المرجع السابق، ص٦٩.
Her Man Rosenthal, Jewish Encyclopedia, Art CHAZAKS.

١١٣- كيستلر: المرجع السابق، والصفحة.
Abba Eban, My People, the Story of the Jewish, P.149.

١١٤- كيستلر: المرجع السابق، ص٧٦.
Her Man Rosenthal, Jewish Encyclopedia, Art CHAZAKS.
د. زبيدة محمد عطا: المرجع السابق، ص٤٩.

١١٥- كيستلر: المرجع السابق، والصفحة.

١١٦- كيستلر: المرجع نفسه، ص٧٨-٧٩.

Abba Eban, My People, the Story of the Jewish, P.150.

ثانيًا- حواشى المحور الثانى:

١١٧- الأنثروبولوجية Anthropology: ذكرت مارجريت ميد M. Mead (١٩٠١-١٩٧٩م) أن الأنثروبولوجية تصف الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية، للنوع البشرى عبر الزمان وفى سائر الأماكن، كما تحلل الصفات البيولوجية، والثقافية المحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، كما تحلل النظم الاجتماعية والتكنولوجية.

حسين فهيم: قصة الأنثروبولوجيا، الكويت، ١٩٨٥م، ص١٣.

١١٨- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ت. ٢٧٦هـ، المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص١٣.

١١٩- اليعقوبى: المصدر السابق، ج١، ص١٥-١٦.

١٢٠- السامية: حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادى، لم يكن يعرف فى القاموس السياسى شئ عن السامية، وعلى مدى فترة زمنية طويلة كانت السامية كلمة ينحصر استعمالها فى نطاق اللغويات، والكتابات الأثرية، إذ اعتبرت اللغة السامية من أقدم لغات العالم، وقسمت إلى

مجموعات ثلاث (السامية الشمالية الشرقية "الأكادية"، والسامية الشمالية الغربية "العبرية والآرامية والإيبلاوية"، والسامية الوسطى والجنوبية "العربية واللغات الجنوبية الإثيوبية")، واللغات السامية الرئيسية الشائعة اليوم هى العربية والأمهرية والعبرية والتجرية. وفى منتصف القرن العشرين إبان الحرب العالمية الثانية، تحولت السامية من لغة وعرقية إلى عقيدة وأيديولوجية سياسية تبنتها الحركة الصهيونية العالمية بعد "الهولوكوست" (غرف الغاز أو المحرقة) التى تزعم هذه الحركة الزعيم النازى (أدولف هتلر)، وقد أقامها لليهود فى ألمانيا، وراح ضحيتها عدد كبير، وبعد انتهاء الحرب العالمية، وانتصار الحلفاء، ونتيجة لتراكمات تاريخية طويلة تحولت السامية إلى لا سامية أى استخدم اليهود مصطلح اللاسامية باعتبارها تهمة تمس كل من يعارض أو يشكك فى صحة "المحرقة"، وتطور الأمر بعد ذلك إلى إطلاق اللاسامية على كل من لا يوافق التيار الصهيونى العالمى، وبالفكرين الإعلامى المستمر والقولبة الإعلامية التى تعرض لها العقل الغربى، أضحت السامية تساوى اليهودية. مقال بعنوان: "الصهيونية العالمية تصنع من اللغة أيديولوجيا للابتزاز"، تحقيق عبد الرحمن المطيرى، مجلة العالم الإسلامى، العدد ١٧٦٩، الصادر فى ٣ رمضان ١٤٢٣هـ/٨/١١/٢٠٠٢م، ص٩.

http://www.moslimworldleaguc.org.paper/1769/articles/page9htm.

١٢١- اليعقوبى: المصدر السابق والجزء، ص٢٠.

١٢٢- الكرديزى: المصدر السابق، ص٤٦٣.

١٢٣- الطبرى: المصدر السابق والجزء، ص١٩٣.

١٢٤- الطبرى: المصدر نفسه والجزء، ص١٩١.

١٢٥- الكرديزى: المصدر السابق والصفحة.

١٢٦- الكرديزى: المصدر نفسه والصفحة.

١٢٧- المسعودى: أ. أخبار الزمان، دار الأندلس، بيروت، ص٩١، ٩٧-٩٩.

ب. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ١/١٢٥-١٢٦.

١٢٨- ابن الأثير: أبو الحسن على ابن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى، ت. ٦٣٠هـ، الكامل فى التاريخ، تحقيق أبى الفدا عبد الله القاضى، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، بيروت، لبنان، المجلد الأول، ص٦٢-٦٣.

١٢٩- ابن العبرى: المصدر السابق، ص١٢.

١٣٠- د. عائشة راتب: مقال بعنوان (الصهيونية)؛ بكتاب الصهيونية العالمية وإسرائيل، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية، القاهرة، ١٩٧١م؛ ص١٤٢.

١٣١- كيستلر: المرجع السابق، ص٢٤.

١٣٢- كيستلر: المرجع نفسه، ص١٧٩.

١٣٣- وبنو جومر: اشكناز، وريفاث، وتوجرمة. سفر التكوين: اصحاح ١٠، آية ٣.

١٣٤- وبنو جومر: اشكناز، وريفاث، وتوجرمة. سفر أخبار الأيام الأول: ٦/١.

١٣٥- عبد الحميد حمودة: وما شأن الكيان الصهيونى بالسامية، مقال بمجلة السنة، العدد ١٣٢، ١٢/١٤٢٤هـ/٢/٢٠٠٤م، ص١.

http://www.alsunnah.org/dcenterm.asp2catid=851J.page1D=2982.2004.

١٣٦- وليد محمد على: حركة المتهودين الخزر، فصل من كتاب صهيونية الخزر وصراع الحضارات.

http://www.bahethcenter.org/arabic/der.168Sohionyat6.htp10F10.

١٣٧- عبد الحميد حمودة: المقال السابق.

١٣٨- عبد الحميد حمودة: المقال نفسه.

١٣٩- مقال (اللاسامية بدعة صهيونية على الغرب أن يتخلص من خرافتها).

http://www.qudsway.to/links/MujallahislamNum78-11-htpage10F10.

١٤٠- د.م. دنلوب: المرجع السابق، ص١٩-٢١.

١٤١- د.م. دنلوب: المرجع السابق، ص٢٠.

Rosental (11) Art Chazar in Jewish Ency. Vol.IV, P.1.

.١٠-٩، ص٩-١٠.

١٤٢- د. محمد عبد الشافى المغربى: المرجع السابق، ص٩-١٠.
Art Khazar, in Harms Worth Ency. London, 1906, Vol.VI, P.370.

١٤٣- ابن منظور: ت. ٧١١هـ/١٣٠٣م، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقى المصرى، لسان العرب، ج٤، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر، ١٩٩٠م، ص٢٣٦.

١٤٤- ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، بيـروت، دار الجيل، ج٢، الطبعة الأولى، ص١٨٠.

١٤٥- ابن سيدة: المخصص، بيروت، دار الكتب العاميـة، ج١، الطبعـة الأولى، ص١٠١.

١٤٦- الزمخشرى: ت. ٥٣٨هـ، جاد الله أبى القاسم محمـود بـن عمـر الزمخشرى، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، مادة خزر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص١٦٠.

١٤٧- ياقوت: المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٧، مادة خزر.

١٤٨- كيستلر: المرجع السابق، ص١٨٠-١٨١.

١٤٩- مورفولوجيا Morphology: هى علم التشكل أو نظرية الأشكال، ويبحث فى صور الأشياء أو أشكالها، وهو علم الحياة يدرس الصـور المميزة، والمورفولوجيا الاجتماعية هى دراسة أشـكال المجتمعـات،

والمورفولوجيا الاجتماعية هة دراسة العلاقة بين البنى المورفولوجية فى الأفراد وأحوالهم النفسية.

د. عبد المنعم الحفنى: المعجم الفلسفى، الدار الشرقية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٣٤٢، مادة مورفولوجيا.

١٥٠- كيستلر: المرجع السابق، ص١٨١.

د. جمال حمدان: اليهود أنثروبولوجيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص١٢٨.

١٥١- كيستلر: المرجع السابق، ص١٨٢.

١٥٢- د. جمال حمدان: المرجع السابق، ١٢٨.

د. عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الأول، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ص٥٧.

١٥٣- د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص١٣١.

١٥٤- كيستلر: المرجع السابق، ص١٨٢.

د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص١٤١.
http://www.kabreet.Egypt.com/issue12/article3.asp.P.10F10.

١٥٥- سفر التكوين: إصحاح ١٠/١-٤.

١٥٦- كيستلر: المرجع السابق، ص١٨٢.

١٥٧- د.م. دنلوب: المرجع السابق، ص٣٠.

كيستلر: المرجع السابق، ص٢٧.

١٥٨- د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص١٣٥-١٣٦.

د. عبد الوهاب المسيرى: المرجع السابق، ص٥٧.

١٥٩- د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص١٣٦.

١٦٠- كيستلر: المرجع السابق، ص١٨٣.

د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص١٤٧.

١٦١- سفر التكوين: الإصحاح، ٢٠/١-١٠.

١٦٢- سفر التكوين: الإصحاح، ٢٦/١-٤.

١٦٣- سفر التكوين: الإصحاح، ٣٧/١.

١٦٤- سفر التكوين: الإصحاح، ٤٦/١-٧.

١٦٥- سفر التكوين: الإصحاح، ٤٦/٨-٢٧.

١٦٦- سفر التكوين: الإصحاح، ٤٨/٢١-٢٢.

١٦٧- د. على رؤوف سيد مرسى: بنو إسرائيل والعبرية الحديثة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٨٧.

١٦٨- سورة البقرة: آية ١٣٣.

١٦٩- سورة البقرة: آية ١٦٩.

١٧٠- ول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد الأول، ترجمة: زكى نجيب محمود ومحمد بدران، القاهرة، ٢٠٠١م، ج٢، ص٣٢٨.

١٧١- بروتوكولات حكماء صهيون: ترجمة: عجاج نويهض، البروتوكول الحادى عشر، ص:٢١.

١٧٢- د. حسن ظاظا: مقال بكتاب "الصهيونية العالمية وإسرائيل"، ص٥.

د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص٦٩.

١٧٣- ابن العبرى: المصدر السابق، ص٤٣.

١٧٤- سفر الملوك الثانى: إصحاح ٢٥/١-٧.

١٧٥- سفر الملوك الثانى: إصحاح ٢٥/٨-١٢.

١٧٦- المزامير: مزمور ١٣٧/١-٩.

١٧٧- سفر حزقيال: الإصحاح ٣٧/١-١٤.

١٧٨- د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص٦٩-٨٨.

١٧٩- العبرانيون: لختلف العلماء والباحثون حول أصل مصطلح "عبرى" فرأى يربط بينه وبين أحد الأجداد القدامى للساميين وهو عابر بن

شالح، وثان: يرى أنها مشتقة من الفعل الثلاثى العبرى "عبر" بمعنى النهر إشارة إلى عبور سيدنا إبراهيم نهر الفرات، وثالث: يرى اشتقاق الكلمة من الفعل الثلاثى عبر كدليل على قطع مرحلة من الطريق، ورابع: يرى أصل الكلمة هو "خابيرو Habiri" وهى قبائل ظهرت فى فترة معاصرة لظهور العبريين، وكانت تغزو فلسطين، وورد ذكرهم فى رسائل أمراء فلسطين الكنعانيين إلى عزيز مصر، وخامس: يرى أن المصطلح ذو مغزى طبقى اجتماعى استنادًا إلى ما جاء فى سفر الخروج ٢/٢١ بشأن المصطلح الاجتماعى "عبد عبرى" وسفر التكوين "أبرام العبرى" ١٣/٢٤، وأخيرًا: رأى يرى أن كلمة عبر وعرب هما أصل كلمة واحدة تعرضت للإبدال والتغيير، ومعنى هذا أن التسمية "عبرى" إنما وظفت للدلالة على أهل البادية الرحل، أى وصف لحالة اجتماعية معينة، وليس كاسم جنس.

د. رشاد عبد الله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، عالم المعرفة، العدد ٢٤، الكويت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٥٩-٦٠.

٢٨٠- سفر الملوك الأول: ١/١-٢.

ابن العبرى: المصدر السابق، ص١٤-١٦.

د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص١٥٣.

د. زبيدة محمد عطا: المرجع السابق، ص٢٤-٢٦.

محمد أحمد خضر: شعب الله المختار، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٢٠٨.

١٨١- ابن فضلان: المصدر السابق، ص١٦٩.

المسعودى: المصدر السابق، ج١، ص١٧٢.

١٨٢- الكرديزى: المصدر السابق، ص٤٦٣.

١٨٣- المسعودى: المصدر السابق، ١/١٧٢.

١٨٤- الإصطخرى: المصدر السابق، ص٢٢٤.

١٨٥- ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣٣٠-٣٣١.

١٨٦- كيستلر: المرجع السابق، ص٥٨.

١٨٧- ابن فضلان: المصدر السابق، ص١٦٩-١٧٠.

١٨٨- ياقوت الحموى: المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٨-٣٦٩.

١٨٩- الإصطخرى: المصدر السابق، ص٢٢٠.

١٩٠- ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣٣٥.

١٩١- ابن فضلان: المصدر السابق، ص١٧١.

١٩٢- الإصطخرى: المصدر السابق، ص٢٢٤.

ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣٣٥.

١٩٣- الإصطخرى: المصدر السابق، ص٢٢١.

ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣٣١.

١٩٤- المسعودى: المصدر السابق، ١/١٧١-١٧٢.

ياقوت الحموى: المصدر السابق، ٣٦٨/٢.

١٩٥- ابن فضلان: المصدر السابق، ص١٧١.

١٩٦- ابن رستة: المصدر السابق، ص١٤٠.

١٩٧- الإصطخرى: المصدر السابق، ص٢٢٠.

١٩٨- ابن فضلان: المصدر السابق، ص١٧٢.

١٩٩- المسعودى: المصدر السابق، ١/١٧١.

٢٠٠- ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣٣٠.

٢٠١- الكرديزى: المصدر السابق، ص٤٦٤-٤٦٥.

٢٠٢- ابن فضلان: المصدر السابق، ص١٧٠.

٢٠٣- المسعودى: المصدر السابق، ١/١٧١.

ثالثًا- حواشى المحور الثالث:

٢٠٤- الطبرى: المصدر السابق، ج٤، ص١٥٥.

٢٠٥- شهر براز: أورده (ابن الأثير) شهريار. ومعناه (أكبر ملوك العصر) أو كبير المدينة. ابن الأثير: المصدر السابق، ج٢، ص٤٣١، حوادث عام ٢٢هـ، محمد موسى هنداوى (المعجم فى اللغة الفارسية)، ص٢٨٩.

٢٠٦- القبج: قال المسعودى "جبل عظيم، وصقعة صقيع جليل"، قد اشتمل على كثير من الممالك والأمم، وفى هذا الجبل اثنان وسبعون أمة، كل أمة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها، وقال ياقوت: "كلمة أعجمية وهو جبل متصل بباب الأبواب وبلاد اللان"، وهو آخر حدود أرمينية، وجبل القبق فيه اثنان وسبعون لساناً لا يعرف كل إنسان لغة صاحبه إلا بترجمان.

المسعودى: المصدر السابق، ١٦٨/١، ياقوت الحموى: المصدر السابق، ٢٠٦/٤.

٢٠٧- الطبرى: المصدر السابق، ١٥٦/٤.

د.م. دنلوب: المرجع السابق، ص٨٠.

٢٠٨- الطبرى: المصدر السابق، ١٥٦/٤.

د.م. دنلوب: المرجع السابق والصفحة.

٢٠٩- الطبرى: المصدر السابق، ١٥٦/٤-١٥٧.

٢١٠- موقان: مدينة بدربند قريبة من ساحل بحر طبرستان (الخزر)، وأراضيها واسعة كثيرة المياه والمراعى. أبو الفدا: المصدر السابق، ص٤٠١.

٢١١- جبال اللان: يقال لملكها (كركنداج)، ويقال لدار الملك (معـص) وتفسيره الديانة، وللملك قصور ومنتزهات يتنقل إليها، وبينـه وبـين صاحب السرير مصاهرة، وهى على مقربة من جبال القـبج يفـصل بينهما قنطرة، وتقع بينهما قلعة يقال لها قلعة باب اللان.

راجع المسعودى: المصدر السابق، ١٨٢/١.

٢١٢- الطبرى: المصدر السابق، ١٥٧/٤.

٢١٣- ياقوت الحموى: المصدر السابق، ٣٠٥/١، مادة باب الأبواب.

٢١٤- ابن الأثير: المصدر السابق، ج٢، ص٤٣٠-٤٣١، حوادث ٢٢هـ.

٢١٥- الطبرى: المصدر السابق، ج٤، ص١٥٧.

٢١٦- ابن الأثير: المصدر السابق، ج٢، ص٤٣١.

٢١٧- الطبرى: المصدر السابق، ج٤، ص١٥٨.

ابن الأثير: المصدر السابق، ٤٣١/٢.

د.م. دنلوب: المرجع السابق، ص٨٢.

٢١٨- ابن الأثير: المصدر السابق، ج٢، ص٤٣٢.

٢١٩- البلاذرى: المصدر السابق، ص٢٠٠.

٢٢٠- قاليقلا: بلد بأرمينية من نواحى خلاط، ويذكر فى تفسير الكلمة: أن أمور الروم كانت تستتب فى بعض الأزمنة، وصاروا كملوك الطوائف، فملك أرمنياقس ثم توفى فملكتها بعده امرأته، وكانت تسمى "قالى" فبنت المدينة وسمتها قاليقالة بمعنى إحسان "قالى"، قيل: وصورت على باب من أبوابها، فقالت العرب قاليقلا بدلاً من قاليقالة.

راجع البلاذرى: المصدر السابق، ص٢٠٠.

ياقوت الحموى: المصدر السابق، ج٤، ص٢٩٩، مادة قاليقلا.

٢٢١- البلاذرى: المصدر السابق، ص٢٠١.

الطبرى: المصدر السابق، ج٤، ص٢٤٨، حوادث ٢٤هـ.

٢٢٢- البلاذرى: المصدر السابق، ص٢٠٣-٢٠٤.

ابن الأثير: المصدر السابق، ج٢، ص٤٧٩.

٢٢٣- ابن الأثير: المصدر السابق، ج٢، ص٤٧٩، حوادث ٢٥هـ.

٢٢٤- ابن الأثير: المصدر نفسه والجزء، ص٤٨٠.

البلاذرى: المصدر السابق، ص٢٠٦.

٢٢٥- البلاذرى: المصدر السابق، ص٢٠٦.

البلاذرى: المصدر نفسه، ص٢٠٧.

ابن الفقيه: ت. بين (٣٠٠-٣٢٠هـ) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمزانى، كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٥٨٩.

٢٢٧- ابن الأثير: المصدر السابق، ج٤، ص١٢٩.

٢٢٨- الطبرى: المصدر السابق، ج٦، ص٤٤١، ٤٥٤.

ابن الأثير: المصدر السابق، ج٤، ص٢٥٢.

٢٢٩- البلاذرى: المصدر السابق، ص٢٠٨.

٢٣٠- الطبرى: المصدر السابق، ج٧، ص١٤، حوادث ١٠٤هـ.

ابن الأثير: المصدر السابق، ج٤، ص٣٦٠.

٢٣١- الطبرى: المصدر السابق، ج٧، ص١٤-١٥.

٢٣٢- ابن الأثير: المصدر السابق، ج٤، ص٣٦١.

٢٣٣- البلاذرى: المصدر السابق، ص٢٠٨.

الطبرى: المصدر السابق، ج٧، ص٢١.

ابن الأثير: المصدر السابق، ج٤، ص٣٦١-٣٦٢.

٢٣٤- الطبرى: المصدر السابق، ج٧، ص٢١.

ابن الأثير: المصدر السابق، ج٤، ص٣٧١.

٢٣٥- ابن الأثير: المصدر السابق، ج٤، ص٣٨٩.

٢٣٦- البلاذرى: المصدر السابق، ص٢٠٨.

ابن الأثير: المصدر السابق، ج٤، ص٣٩١-٣٩٣، حوادث ١١٢هـ.

٢٣٧- ابن الأثير: المصدر نفسه، ج٤، ص٣٩٣.

٢٣٨- ابن الأثير: المصدر نفسه، ج٤، ص٣٩٤-٣٩٥، ٤٠٣.

٢٣٩- البلازى: المصدر السابق، ص٢٠٩-٢١٠.

ابن الأثير: المصدر السابق، ج٤، ص٤٢١، ٤٣٣، ٤٥٠.

٢٤٠- البلاذرى: المصدر السابق، ض ٢١١-٢١٢.

٢٤١- البلاذرى: المصدر نفسه، ص٢١٢.

٢٤٢- ابن الأثير: المصدر السابق، ج٥، ص١٧٥.

٢٤٣- الطبرى: المصدر السابق، ج٨، ص٢٦٩.

ابن الأثير: المصدر السابق، ج٥، ص٣١٩.

٢٤٤- الطبرى: المصدر السابق، ج٨، ص ٢٧٠.

ابن الأثير: المصدر السابق، ج٥، ص٣١٩.

٢٤٥- ابن خردابة: المسالك والممالك، ص١٦٢-١٦٣.

ابن الفقيه: المصدر السابق، ص٥٩٦.

المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص٣٦٢.

٢٤٦- ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص١٦٣-١٦٤.

ابن الفقيه: المصدر السابق، ص٥٩٦-٥٩٧.

٢٤٧- ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص١٦٣-١٧٠.

ابن الفقيه: المصدر السابق، ص٥٩٧.

المقدسى: المصدر السابق، ص٣٦٢.

٢٤٨- ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣٣٢.

٢٤٩- المسعودى: المصدر السابق، ج١، ص١٧٤-١٧٥.

كيستلر: المرجع السابق، ص١١٣-١١٦.

٢٥٠- المسعودى: المصدر السابق، ج١، ص١٧٥-١٧٦.

ابن الأثير: المصدر السابق، ج٧، ص٢٩٠، حوادث ٣٥٤هـ.

بارتولد: دائرة المعارف الإسلامية، مادة (بلغار)، ج٤، ص٩٧.

٢٥١- ابن حوقل: المصدر السابق، ص٣٣٢.

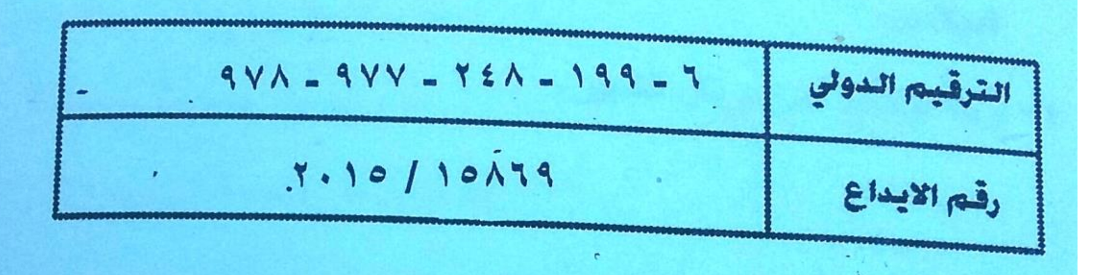
الملاحق

١- خريطة بحر الخزر، نقلاً عن ابن حوقل، توضح بلاد المتماسة معـه، ونهر إتل، ومدينة خزران، وباب الأبواب، ونهرى الرس والكر.

٢- خريطة توضح هجرات الشعوب المتصلة بالخزر وطرق تجارتها.

٣- خريطة توضح إمبراطورية الخزر فى القرن السابع وحتى الحادى عشر الميلادى.

٤- لوحة توضح ممر دريال الشهير.



الترقيم الدولي	٩٧٨ - ٩٧٧ - ٢٤٨ - ١٩٩ - ٦
رقم الايداع	١٥٨٦٩ / ٢٠١٥